جامعة المصطفى العالمية

الزواج والأسرة

بسماحة آية الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه)

معاونية التحقيق

بسم الله الرحمن الرحیم

سرشناسه:	قاسم، عیسی‌أحمد، ۱۹۳۸ - م.
عنوان و نام پدیدآور:	الزواج و الأسره/ عیسی‌أحمد قاسم.
مشخصات نشر:	قم : مرکز بین‌المللی ترجمه و نشرالمصطفی ﷺ، ۱۳۹۴.
شابک:	۹۷۸-۹۶۴-۱۹۵-۹۷۴-۸
وضعیت فهرست نویسی:	فیپا
یادداشت:	عربی.
موضوع:	زناشویی (اسلام)
موضوع:	خانواده‌ها -- جنبه‌های مذهبی -- اسلام
شناسه افزوده:	جامعة المصطفی ﷺ العالمیة. مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفی ﷺ
رده بندی کنگره:	BP۲۵۳/۲/ق۲ز۹ ۱۳۹۴
رده بندی دیویی:	۲۹۷/۶۴۲
شماره کتابشناسی ملی:	۴۰۷۸۲۲۳

الزواج والأسرة

سماحة آية الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم

المؤتمر الدولي لتكريم شخصية سماحة آية الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم

مركز المصطفى العالمي
للترجمة والنشر

الزواج والأسرة

سماحة آية‌الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم (دام عزه)

الطّبعة الأولى: ١٤٣٧ق / ١٣٩٤ش/٢٠١٦م

النّاشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر

● المطبعة: زلال كوثر ● السّعر: ٥٠٠٠٠ ريال ● عدد النّسخ: ١٠٠٠ نسخة

مراكز التوزيع:

● ايران؛ قم، ساحة الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجتية)، زقاق ١٨. هاتف: ٣٧٨٣٩٣٠٦ ٢٥ ٩٨+

● ايران؛ قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالارية. هاتف: ٣٢١٣٣١٠٦ ٢٥ ٩٨+ فاكس: ٣٢١٣٣١٤٦ ٢٥ ٩٨+

● ايران؛ قم، مجتمع الناشرين، الطابق الثالث، رقم المجتمع ٣٠٨. هاتف: ٣٧٨٤٢٤٠٢ ٢٥ ٩٨+

pub.miu.ac.ir miup@pub.miu.ac.ir

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل الطباعة والنشر حتى مراحله الأخيرة.

كلمة الناشر

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾.[1]

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

لقد شهدت دائرة العلوم الإسلامية على اختلاف موضوعاتها وأغراضها عبر تاريخها الطويل، اتّساعاً واضحاً ونمواً مطّرداً، صاحبَهَا ازدهارٌ مشابهٌ في العلوم الإنسانية، وفي الفكر، والثقافة والتعليم، والفن والأدب.

وقد ازدادت هذه العلوم نشاطاً وحيويّةً وعمقاً وشمولاً بعد انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخمينيؒ، وتصاعدت حركة أسلمة العلوم، وتركيز القيم الدينية والروحية والإنسانية ـ بعد تزايد الحاجة الماسّة إلى إيجاد الحلول للمشاكل والاستفهامات الدائرة في شتّى الموضوعات الاجتماعية والسياسية والعقائدية ـ في ظلّ المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمجتمع، وانتشار شبهات العولمة والفكر الإلحادي، وحتى التكفيري المتطرّف، بخاصّة بعد ثورة الاتصالات الكبرى التي هيّأت للعالم فرصة فريدة للاطلاع الواسع بما يحيط به.

---

١. الكهف: ١.

من هنا دعت الحاجة إلى وضع مناهج للبحث والتحقيق، واستخلاص النتائج الصحيحة في كلّ علم من علوم الشريعة: في التوحيد، والفقه، والأصول، والفلسفة، والكلام، والحديث، والرجال، والتاريخ، والأخلاق والنفس، والاجتماع، وغيرها؛ لتوقّف سعادة الإنسان عليها في الدنيا والآخرة؛ ولتحقيق الغرض العبادي الذي خُلق الإنسان من أجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[1]

فقامت في الحوزة العلمية حركة فكرية كبرى بتوجيه من قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي(دام ظلّه) وجهود الفقهاء والعلماء والمفكّرين، والعمل الجاد وبذل غاية الوسع، من أجْل بناء صرح علمي ديني رصين، وصياغة مناهج جديدة تُعنى بعلوم الشريعة، وعموم حقول المعرفة الإسلامية والإنسانية.

وأخذت جامعة المصطفى ﷺ العالمية على عاتقها، المساهمة الفعّالة في صياغة كثير من المناهج الدراسية، التي تنسجم مع تطوّر الحركة العلمية والثقافية الحديثة.

فأسست «مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر»، لينهض بنشر هذه الآثار العلمية وتقديمها لطلاب العلم وروّاد المعرفة.

نأمل أن تأخذ هذه الآثار مكانها في المكتبة الإسلامية، وتلقى جميل الأثر، وحسن الردّ من رجال العلم والفضيلة؛ بأن يرسلوا إليها بما يستدركون عليها من نقص، أو خطإٍ يفوّت جهد المحقّق الحصيف، والمؤلّف الحريص.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم جاء متّسقاً مع أهداف الجامعة، ومفردة من مفردات مناهجها الدراسية المترامية الأطراف.

يتقدّم «مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر» بوافر الشكر

---

١. الذاريات: ٥٦.

لمؤلفه الكريم على ما بذله من جهد وعناية، ولكلٍّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب، وتقديمه للقرّاء الكرام.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وهو من وراء القصد.

مركز المصطفى ﷺ العالمي
للترجمة والنشر

الفهرس

الفصل الأول
الزواج

مقدمة

كلّ الدوافع التي يغنى بها كيان الإنسان معنوية كانت أو مادية لا يستغني عنها حسبما أُريد له من طبيعة ودور وهدف، وهي نِعَمٌ إلهية لا تنكر، ولا يعاب بها هذا المخلوق، والفاقدُ لأحدها من الناس يعتريه شعورُ النقص، ويصيب وظائف حياته الخلل، وقد لا تستمر له الحياة، أو تكون حياته من البِدائية بما يلحقه بالحيوان. فالإنسان بلا خوف لا يعيش، بلا جنس لا يستمر نوعُه، بلا ميل للطعام والشراب لا بد أن يموت في أيام، بلا حبّ للاستطلاع والعلم، أصلاً يكون هو والبهيمة سواء، بلا عاطفة أبوّة ولا أمومة يُعرّض نسله للهلاك.

ومن عرف من ولده نقصاً في جهاز الجنس أو دافعه همّه أن يخلّصه من نقصه، ويبذل ما يبذل رفعاً لهذا الخلل في خَلْقِهِ.

ومسؤولية الانحرافات الكثيرة المتعبة للأفراد والمجتمعات، وهي مرتبطة بجملة من الدوافع المادية كحبِّ التملك، والجنس يتحملها سوءُ التعامل مع هذه الدوافع، ونوعُ المنهج الذي يحدِّد أساليب هذا التعامل، ويكيِّف خط الاستجابة لها، ويُوجِد التوازن بينها، أو يُعطي لبعضها الانفلات، أو يمارس

الضغط المضاد لها بما يُفجّرها، أو يحوّلها إلى عقد نفسية قاتلة، أو يكون قادراً على توجيهها التوجيه الناجح على طريق الأهداف السامية الكبيرة للإنسان، ويضعها عند الحدّ المعتدل، ويخلق القدرة وفرص التسامي بها في حالات الضرورة المانعة عن تلبيتها التلبية المباشرة التي تشبعها.

[لذا] تجدون الإسلام لا يسترجسُ أي دافع من الدوافع الطبيعية عند الإنسان، وإنما يحتضن بمنهجه القويم كلّ الدوافع، ويوجِدُ الأنظمة الخاصة التي تتصل بهذه الدوافع واحداً واحداً في إطار نظامه العام الذي يغنى بالتنسيق بين أبعاد الإنسان كلها ليكون الإنسانَ المتناسقَ المتكاملَ في شخصيته، السائر على هدىً في طريق الهدف المرسوم لحياته من كماله وسعادته.

ونظام الزواج والأسرة وما يتّصل به من أحكام وأخلاقيات وحقوق وواجبات ملتفتٌ إلى احتضان دافع الجنس لما له من أهمية كبيرة في إسعاد الحياة وإشقائها، وفي استقامة الإنسان وانحداره. والآيات تمتنُّ بجعل هذا الدافع، وتكرم شأنه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً...﴾[2].

إذن لا يحق لأي مؤمن أي يستقذر هذا الدافع في ابنه أو بنته وحتى لو وُجد قويّاً، وإنما المحاولة أن يعمل على الاستجابة الطبيعية الحلال له ما أمكن، وربطه بالأهداف الإلهية الطاهرة العالية، وحيث يتعذر الإشباع المباشر الحلال، لا بد من العمل على صرف الطاقة فيما ينفع، والتقليل من غلوائها بإتباع عدد من التعاليم الشرعية والعلمية في هذا المجال.

وكيف يستقذر الشخصُ من ابنه أو بنته ما لا يستقذره من نفسه،

---

١. الروم: ٢١.

٢. الرعد: ٣٨.

وكيف تستقذر من إنسان أمراً لا اختيار له في إيجاده، ولا يجوز شرعاً أن يُنهيَه من وجوده؟!

نعم المسؤولية هي أن لا نقتحم الأجواء، وأن لا نأتي بالأمور التي تؤجج فينا الدافع بما يفقدنا الصبر عن ارتكاب المحرم، ويقلل من حصانتنا، وأن نصبر عند الضرورة لأن الأمر وإن ثقُل لا يصل إلى حدّ القهر[١].

ما هو الزواج الحقيقي؟

* الزواج ليس لإطفاء ظمأ جسد بآخر لا غير، وإنما الزواج للقاء روح بروح، وعقل بعقل، وقلب بقلب، ونفس كريمة بنفس أخرى مثلها، وهو لقاء على هدف ورؤية وطريق سالك إلى ذلك الهدف، وفي ضوء تلك الرؤية.

* والزواج فيه طلب فطري للامتداد في هذه الحياة مع مغادرتها، وتثقيل للأرض، وتزكية لها بكلمة لا إله إلا الله ينطق بها لسان صادق من قلب مؤمن، وروح مهتدية، وتتحرك على ضوئها حياة الإنسان ذكر وأنثى، يمدّ الزواج بهما الحياة في صورة عنصر جديد من صنع كريم لتمتد الحياة به وتثرى، وتتنامى عطاءاتها الكريمة، وإبداعاتها القويمة المتجددة.

* الزواج إيجاد خلية اجتماعية حيوية صالحة مضافة لترفد حياة المجتمع بالجديد النافع، والإسهام الخيّر، والحركة الإيجابية المشاركة. وهو طلب للسكينة والإطمئنان الذي يوفره جوّ المودّة والرحمة، ويؤكّده لقاء العقل بالعقل، والروح بالروح، والقلب بالقلب، ويزداد كلّما ازداد التلاقي في هذه الأبعاد، وقلّت بين الزوجين المفارقات.

* والعلقة الزوجية من أمتن وآكد ما يكون بين الناس من علقة بعد علقة الرحم القريب، والعشرة الزوجية من أشدّ ما يكون من عشرة في حياة الناس بين اثنين أو هي الأشدّ، ووقت هذه العشرة في اليوم والليلة في العادة هو

---

١. خطبة الجمعة (٩٩) ١٩ ذي الحجة ١٤٢٣هـ ـ ٢١فبراير ٢٠٠٣م.

الأكثر، والسائد أن تغطّي أكبر مساحة من عمر الإنسان إذا امتدّت به الحياة.

* وتقوم هذه العلاقة على ميثاق متين مؤكّد، وعقد شديد الحرمة في دين الله، ومن آثارها الانكشاف الواسع والإفضاء المفتوح بين الزوجين، ونتيجة الولد الذي يجد فيه كلّ منهما نفسه وامتداده ليكون ذلك الولد الوجود الواحد المجسّد لهما، وليكونا وهما الاثنان في واحد. هذا الواحد بعضه من هذا وبعضه من ذاك[1].

تأكيد الإسلام وحثّه الشديد على الزواج:

يكشف الحديث المتقدّم[2] عن رسول الله ﷺ مدى الأهمية لبناء الأسرة في الإسلام، والأحاديث في الحث على الزواج بالغة الكثرة، ولا تدع مجالاً للشكّ في الاهتمام الكبير من الإسلام ببناء الأسرة، ويتقدّم القرآنُ السنّة في هذا الحثّ:

نقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

ومن السنّة المطهّرة نكتفي بالقليل من النصوص البالغة حدّ التواتر في الدفع باتجاه الزواج الصالح.

عنه ﷺ: «تُفتَحُ أبوابُ السَّماءِ بِالرَّحمَةِ في أربَعِ مَواضِعَ... وعِندَ النِّكاحِ»[4].

«تزَوَّجوا فإنّي مُكاثِرٌ بكُمُ الأُمَمَ غَداً في القِيامَةِ، حَتّى إنَّ السِّقطَ لَيَجيءُ مُحبَنطِئاً[5]

---

١. خطبة الجمعة (٣٧٣) ٢٥جمادي الثاني ١٤٣٠هـ - ١٩ يونيو ٢٠٠٩م

٢. قوله: «ما بُنِيَ بِناءٌ فِي الإسلامِ أحَبُّ إلَى اللّهِ تَعالى مِنَ التَّزويجِ»، *من لا يحضره الفقيه*: ٣٨٣/٣، ط ٢.

٣. النور: ٣٢.

٤. *بحار الأنوار*: ٢٢١/١٠٠، ط٣، المصححة، وقد جاءت كلمة (تفتح) في الحديث في موسوعة معارف الكتاب والسنة بـ(تُفتح)، وفي بحار الأنوار بـ(يفتح). علماً بأنّ المصدرين المذكورين اعتمدا في نقل الخبر الشريف عن كتاب جامع الأخبار. «منه حفظه الله»

٥. المُحبَنطِئ: المُتَغضِّب المستبطئ للشيء *(النهاية*: ٣٣١/١ «حبنط»). «منه حفظه الله»

عَلى بابِ الجَنَّةِ، فَيُقالُ لَهُ: اُدخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقولُ: لا، حَتّى يَدخُلَ أبوايَ الجَنَّةَ قَبلي»[١].

والمكاثرة المعنية المكاثرة بأهل الجنّة من أمّته ﷺ لا بأهل النّار، فأهل الجنّة من هذه الأمة من غرس يده، ومحل فخره واعتزازه.

«النِّكاحُ سُنَّتي، فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتي فَلَيسَ مِنّي»[٢].

وأيُّ مؤمن يسهل عليه ويريحه أن لا يكون من رسول الله ﷺ، وله طريقة أخرى غيرَ طريقته؟!

ودعوة الإسلام للأفراد من أمّته للزواج وبناء الخلية الاجتماعية الأولى تُرافقها دعوة أخرى للمجتمع والأمّة بأن تُوليَ اهتمامها لتزويج أبنائها ممن لا ينهض مستواهم المادي بتكاليف الزواج المناسِبة لهم، أو يحتاجون إلى من يُعينهم في الوصول إلى الزّوجة الصالحة أو الزّوج الصالح، ويُذلّل لهم صعاب الطريق على هذا الأمر ممن يمكنه ذلك.

وهذه الدعوة تحملها الآية الكريمة: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

ويُطلق لفظ الأيم على الذكر كذلك كما يذكر صاحب الأمثل.

وعن رسول الله ﷺ: «تَزَوَّجوا وزَوِّجوا، ألا فَمِن حَظِّ امرِئٍ مُسلِمٍ إنفاقُ قيمَةِ أيِّمَةٍ[٤]، وما مِن شَيءٍ أحَبُّ إلَى اللّهِ مِن بَيتٍ يُعمَرُ فِي الإِسلامِ بِالنِّكاحِ»[٥].

---

١. من لا يحضره *الفقيه*: ٣٨٣/٣، ط ٢.

٢. *موسوعة معارف الكتاب والسنة*: ٢٦٦/٢، ط ١.

٣. النور: ٣٢.

٤. الأيِّم في الأصل: التي لا زوجَ لها، بِكراً كانت أو ثَيِّباً، مطلّقةً كانت أو متوفّى عنها (*النهاية*: ٨٥/١ «أيم»). «منه حفظه الله»

٥. *الكافي*: ٣٢٨/٥، ط ٣. وهنا زوّجوا ليس بمعنى إعطاء المال فقط، وإنما اعملوا على تزويج الآخرين بكل الوسائل الممكنة. «منه حفظه الله»

وعنه ﷺ: «مَن أنكَحَ عَبداً للّهِ، وَضَعَ اللّهُ عَلى رَأسِهِ تاجَ المُلكِ»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن زَوَّجَ أعزَباً، كانَ مِمَّن يَنظُرُ اللّهُ إلَيهِ يَومَ القِيامَةِ»[٢].

وخيار العزوبة للقادر على الزواج خيار يواجهه الإسلام ويخطئه: عن الرسول ﷺ: «رُذالُ مَوتاكُمُ العُزّابُ»[٣] والرذالة دونية وخسّة.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «جاءَ رَجُلٌ إلى أبي جَعفَرٍ عليه السلام فَقالَ أبي:[٤] هَل لَكَ مِن زَوجَةٍ؟ قالَ: لا، قالَ: ما أُحِبُّ أنَّ لِيَ الدُّنيا وما فيها وأنّي أبيتُ لَيلَةً لَيسَ لي زَوجَةٌ»[٥].

والعزوبة لا تضرّ بمن وقع تحت طائلتها من ذكور وإناث دون غيرهم، فإنها إذا ما أخذت حجم الظاهرة في مجتمع من المجتمعات كانت سبباً في الفتك بأخلاقه خاصة في وسط الأجواء التربوية الهابطة ووسائلها المتردية، ومنطلقاً للأمراض النفسية والجسمية، والتصرفات العدوانية، وانتقاض حالة الأمن على الأعراض، والتصادمات الاجتماعية الحادّة.

ومن هنا كان على المجتمع الذي يريد أن يحتميَ من كلّ هذه الآثار أن يسعى جاهداً للتخلّص من واقع العزوبة في وجوده، ويبذل ما في وسعه لتزويج كلّ أبنائه وبناته[٦].

---

١. *كنز العمال*: ٨٥٠/١٥، حين تُزوّجوا فقيراً محتاجا للزواج حسب الحديث يضع الله على رأسك تاج الملك، وهذا التاج في يوم القيامة، هذا الوضع للتاج على رأس هذا العبد إنما هو يوم القيامة. «منه حفظه الله»

٢. *الكافي*: ٣٣١/٥، ط٣.

٣. *بحار الأنوار*: ٢٢٠/١٠٠، ط٣، المصححة.

٤. أي قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي هو أبو الإمام الكاظم عليه السلام. «منه حفظه الله»

٥. *موسوعة معارف الكتاب والسنة*: ٢٧٣/٢، ط١.

٦. خطبة الجمعة (٥٢١) ٤ ذي القعدة ١٤٣٣هـ - ٢١ سبتمبر ٢٠١٢م.

منطلق الزواج وبناء الأسرة

منطلق الأسرة زواج رجل بامرأة على بركة الله، وفي ظلّ شريعته العادلة، وآداب دينه المتميّزة، وأجواء المودّة والرّحمة. ومن عطاءات ذلك الإخلاص، والأخذ بيد الآخر إلى ما هو الأصح والأنفع، والإنقاذ من الضرر، والتفاني في الخدمة، والتعاون في سبيل الخير.

الرجل في هذه العلاقة ليس حمار طاحونة في نظر المرأة منظوراً إليه بنظرة مادية جشعة استغلالية لا تقدير فيها إلاّ لما يأتي على يديه من حياة مادية مترفة، وإلا سقطت قيمته، والمرأة فيها ليست بضاعة جنس، ولا مقضى شهوة فحسب، ولا وسيلة لترويج البضائع.

كلّ منهما إنسان عزيز على صاحبه، كريم شأنه عنده، عظيم حقّه عليه، مخلص له، حريصٌ على سعادته، باذل جهده للتخفيف عنه، والعمل على راحته.

بناء علاقة الزواج، هو المنشأ الأول للأسرة الآمنة الكريمة، وأول لَبِنَة يعدّها الإسلام لبناء المجتمع الإسلامي والإنساني القوي الرشيد لا يُقدَّم عليه بناء. وإنه لمن البناء الذي يعتزّ به كلّ الاعتزاز حين يأتي من صنع يديه، وعلى هدى دينه وتربيته. وهذا ما نقرؤه في الحديث عن الرسولﷺ: «ما بُنِيَ بِناءٌ فِي الإسلامِ أحَبُّ إلَى اللّهِ تَعالى مِنَ التَّزويجِ»[1].

والبديل عن الأسرة خسيس رديء معطِّل للحياة، باعث على الفوضى، هادم لإنسانية الإنسان، شاغل له عن هدفه، مُوقِع في الاضطراب، مفسد للتربية، محطِّم للأجيال، قاطع للعلاقات، سالب لراحة الإنسان.

البديل أن لا علاقة لرجل بامرأة فينقطع النسل، وتتعطَّل الحياة، وكذا لو التهى كلّ جنس بجنسه. وفي حال تنفتح المرأة على الرجال تسقط قيمتها

---

١. من لا يحضره *الفقيه*: ٣٨٣/٣، ط ٢.

الإنسانية، وتكون مفرغ شهوة للسّاقطين، ومحل تنازع الشهوات وفوضاها، وسبب نزاع واقتتال، ويتسيَّب النسل، وتنحدر أخلاقيته، وتضطرب نفسيته، وتتردّى أوضاعه، وتسوء إنسانيّته.

وكما تكون المرأة في هذا الفرض مطمع الشهوات المنفلتة لسفلة الرجال تكون سلعة رخيصة لترويج البضائع[١].

وهنا يبرز الفرق الهائل بين تشريعات الدين الحقّ وتشريعات الأرض فيما ينظِّم العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة والنظر إلى الأسرة وعلاقاتها[٢].

ضرورة استعداد الشاب للزواج

يطلبُ للشابّ وهو يتوق إلى الزواج أن يتذكر متطلباته ونفقاته، وما يترتب على تكوين الأسرة من مسؤوليات إنسانية ومالية تكفّل ببيانها الشرع، وأن لا يقصِّر أبداً في إعداد نفسه لتحمّل هذه المسؤوليات، وأن لا يتوانى عن طلب العمل أو يكْسَل فيه، فإنه ليس من الممكن في الأكثر أن يتحمل والده مؤونة أسرته الجديدة، ولو أمكن ذلك فإنه ليس من المسعد للولد ولا أسرته أن يُعال من غيره، فهذه الحالة حالة استثنائية لا يُصار إليها إلا عند الضرورة.

ويُطلب للآباء أن يُعينوا أولادهم معنويّاً وماديّاً على الزواج وتحمُّل نفقاته، ويكفي أن يرتبط الولد بالعمل، أو يكون على طريق الارتباط به لأن يبادر الأب بتحصين ولده، وبذلِه لزواجه.

ولنسمع عن ثواب من زوَّج أخاً له في الله مطلقاً، فضلاً عن أن يكون هذا المؤمن ولداً أو رحماً أو جاراً «من زوَّج عَزَباً كان ممن ينظر الله إليه يوم القيامة»[٣]

---

١. كما في الغرب، وكما في الشرق اليوم. «منه حفظه الله»

٢. خطبة الجمعة (٥٢١) ٤ ذو القعدة ١٤٣٣هـ - ٢١ سبتمبر ٢٠١٢م.

٣. *ميزان الحكمة*: ٢٧٥/٤؛ عن *الكافي*: ٢٩٨/٧.

عن الصادق عليه السلام، وتعرفون قيمة نظر الله للعبد نظر رحمة ورأفة ولطف وعناية، «من زوَّج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها، وتشدّ عضده، ويستريح إليها زوّجه الله من الحور العين، وآنسه بمن أحبَّهُ من الصدّيقين من أهل بيته وإخوانه وآنسه به»[١] عن الرسول صلى الله عليه وآله[٢].

الزواج لماذا؟

يتزوّج الشاب ليسعد لا ليشقى، وتتزوج الشابة لتسعد لا لتشقى، ويتزوجان ليسدّ كلاً منهما نافذة واسعة من نوافذ الشيطان على النفس الأمّارة بالسوء، لإفساد ذات الإنسان وحياته، وإقلاق الحياة الاجتماعية وتخريبها، وضياع النسل وتسيّبه وفوضاه[٣].

أيها الشاب والشابة المسلمان إسألا النفس لماذا الزواج. ولأضع بين يديكما هذه الإجابة المقتضبة:

أغراض الزواج:

١. غرَض جسدي قريب:

هذا الغرض تدفع إليه الغريزة. ويشارك فيه الإنسان الحيوان. ولا يدخله تخطيط العقل وهندسته، وتأملاته

٢. الغرض النفسي الاجتماعي الجنسي[٤]، ولا خيار للإنسان في إيجاده والتعلق به.

---

١. المصدر: ٢٧٦؛ عن *البحار*: ١٩٢/٧٧.

٢. خطبة الجمعة (٩٩) ١٩ ذي الحجة ١٤٢٣هـ - ٢١ فبراير ٢٠٠٣م.

٣. خطبة الجمعة (٣٧٣) ٢٥جمادي الثاني ١٤٣٠هـ - ١٩ يونيو ٢٠٠٩م.

٤. كلّ جنس من الجنسين منشد اجتماعياً إلى الجنس الآخر، وهناك جوعة نفسية قد تنضاف إلى الجوعة الجسدية تتعلق بالاجتماع بالجنس الآخر، وهذا هو المعني بالغرض النفسي الاجتماعي الجنسي. «منه حفظه الله»

٣. حبّ الامتداد والكثرة وهو غريزي، والتوجه إليه متأخر عن الغرضين السابقين. فإنما يفكر أحدنا في الولد بعد أن ينال من الغرض الأول والغرض الثاني، وأول ما تتجه النفس إليه هما الغرضان الأولان، ولا يأتي انشداد النفس إلى الولد فيما يغلب في الظاهر إلا في طول الغرضين السابقين.

٤. التحصُّن الحلال من الوقوع في المحرَّم، والتخلص من ضغط الشهوة الذي قد يجر إلى الانحراف، طلباً للاستقامة، والتفرغ إلى الدور الخلافي النافع، وهذا الغرض عقلي ديني؛ منشؤه العقل والدين، وليس منطلقه من منشأ الغريزة والدوافع الفطرية الماديَّة.

التفكير في التحصّن، استغناءً بالحلال عن الحرام، وتخلصاً من ضغط الشهوة من أجل التفرغ إلى دور إيجابي كبير على طريق خلافة الله إنما يشير إليه العقل، وينصح به الدين؛ فمن لم يكن على عقل، ومن لم يكن على دين لم يخطر هذا الغرض في نفسه، وقد يغفل المتدين العاقل عن هذا الغرض وينشغل بالأغراض الغريزية التي لا دور للعقل في تحديدها.

٥. إيجاد النموذج الرسالي الرائع على مستوى الأسرة لخلق المجتمع الإيماني القوي الكريم. هذا غرض رسالي، غرض من يكون له حس رسالي، وحس بالمسؤولية الاجتماعية، وحس بأهمية حاضر الأمة ومستقبلها، وحس الإنسان الذي يخطط للحاضر، ويخطط للمستقبل، ويشعر أن عليه مسؤولية تصحيح المجتمع والرقي به، وهذا الغرض يحتاج إلى مستوى نابه من مستويات العقل والحس الاجتماعي والإيمان.

٦. إعداد جيل رسالي عابد وخليفة صالح. في الغرض السابق يحاول الرجل وتحاول المرأة أن توجد نموذجاً أسرياً كريماً قدوة في المجتمع، وأن تتكثر هذه النماذج من أجل تصحيح وضعية المجتمع ومستقبله. وفي السادس يلتفت إلى الجيل المولود، ويشتهي هذا الأب والأم أن يتحملا مسؤولية إعداد جيل رسالي

لمستقبل الأمة، وأن يزرعا ويسقيا وينبتا حتى يظهر الثمر الجني وهو جيل له عقلية واعية، له إيمان كبير، له إرادة صحيحة، له فاعلية إيجابية حيّة من أجل النهوض بالمسؤولية الدينية، ومن أجل التقدم بمستوى الأمة المؤمنة.

والآية الكريمة تقول: ﴿...رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1]. وأصحاب هذا الدعاء هم أناس يتطلعون إلى جيل مستقبلي مؤمن قادر كفوء، متحمل للأمانة الإلهية الثقيلة، ويعرفون أن عليهم دوراً كبيراً في صياغة هذا الجيل بعد أن يأتي بمواهب كريمة من الله تساعدهم على إعداده الإعداد اللائق.

الأهداف الثلاثة الأخيرة تقوم على الوعي والرشد والرؤية الكونية الصحيحة، والرسالية الحيَّة. والزواج من منطلقها زواج ناضج راقٍ ومسؤول، والزواج من المنطلقات الثلاثة الأولى زواج بدائي بسيط، لا يتجاوز حد السذاجة. ويمكن أن يكون الزواج ابتداءً بدافع الجنس الخالص إلا أنه يأخذ في الرقي بعد ذلك ويمكن أن يبقى عنده مستواه الأول.

وما نريده لشبابنا وشاباتنا هو وعي الأهداف الإنسانية والرسالية للزواج في وقت مبكر حتى تنبني الأسرة في تركيبها الثنائي من صناعة هذه الأهداف، ويكون احتضان الأولاد وتربيتهم في ضوء إيحاءاتها من الأول[2].

أهداف الزواج في الرؤية الإسلامية

١. الوقاية من الفساد والأمراض

الدافع الجنسيّ من أقوى الدّوافع البدنية في تركيب الإنسان، وله ضغطه الكبير على نفسه، وله وجوده الهادف فيه لارتباط بقاء النَّسْل به. وهو في

---

١. الفرقان: ٧٤.

٢. خطبة الجمعة (١٦٢) ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ - ٩ يوليو ٢٠٠٤م

الوقت نفسه فتنة له، ويتحدّى إرادته، ووعيه، ودينه، وصِدْق خُلُقه.

والزواج هو السبيل النظيف الصحيح المأمون لتلبية هذا الدافع الملحّ عند طرفي الزواج معاً، ومن دونه ينفتح باب التسيُّب الجنسي، والعلاقات المحرّمة بما تجرّ إليه من مفاسد خُلُقية أخرى، وجرائم اجتماعية، ونزاعات هابطة، ومصادمات حادَّة.

ومِن دونه وتحت طائلة الدافع الجنسي وضغطه الهائل على النفس تكثر الأمراض النفسية، ويتأزّم الإنسان، ويخرج عن حدّ الاعتدال النفسي الذي يُمكّنه من ممارسة دوره الإنتاجي والإنساني بالصّورة الطبيعية الممكنة له.

نقرأ بهذا الشأن قوله تعالى: ﴿...هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ...﴾[1].

في الزواج لباس ساتر للمرأة والرجل، وكلٌّ منهما فيه سَتْر للآخر من الانحدار الجنسي، والتردّي الخلقي، ووقايةٌ من ضياع الدّين، وتدهور الصحّة النفسية الناتج من ضعف التحمّل لضغط التأجُّجات لدافع الجنس.

في الزواج إفشال إلى حدّ كبير لكيد الشيطان بالنفس وحملها على التمرُّد على الدين من منفذ دافع الجنس، فعن رسول الله ﷺ: «ما مِن شابٍّ تَزَوَّجَ في حَداثَةِ سِنِّهِ إلا عَجَّ شَيطانُهُ: يا وَيلَهُ يا وَيلَهُ، عصَمَ مِنّي ثُلُثَي دينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللّهَ العَبدُ فِي الثُّلُثِ الباقي»[2].

٢. سكينة النفس

تبقى النفس مضطربة مستاءة قَلِقَة ونهباً للتأثرات السلبية من جهة الفقد الجنسي والصاحب أو الصاحبة من الجنس المقابل، الذي بُنيت لحكمة إلاهية على الشوق إليه والالتقاء به في علاقة اختصاصية وثيقة موثوقة مأمونة كريمة

---

١. البقرة: ١٨٧.

٢. *النوادر للراوندي*: ١١٣، ط ١.

تذهب وحشة الانفراد عنها، وتُوفّر لها الطمأنينة والسكينة بعد القلق، والهدوء بعد الاضطراب الذي يُعرّضها للأمراض والأزمات الخطيرة.

يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

﴿...الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...﴾[2].

هناك مودة ورحمة بين الزوجين من لطف الله ورحمته بعباده مما يتيح للعلاقة بينهما أن تأخذ في التوثّق الشديد ومتانة البناء والقوّة وتصمد أمام الكثير من تقلّب الظروف[3].

وكلما كان ائتلاف في الفكر، وقدرة على التفاهم، وكلما اتّسمت نفسية الزوجين بالرحابة والتسامح، وسمت الأخلاق عندهما، وتمتّعا بطهر النفس كلما أعطى ذلك فرصة كبيرة للحياة المريحة بينهما وتأكّد المودة والرحمة، ودوام العلاقة، وعدم تعرُّضها للاهتزازات والتقلُّبات.

كلما حَسُن اختيار الزوج للزوجة والزوجة للزوج، وراعى كلٌّ منهما الجوانب المعنوية المرضية في الآخر كلما كان القدر الطبيعي من المودة والرحمة المجعولين تكويناً من الله سبحانه بينهما أبقى على علاقة الزوجية بينهما، وعلى تقوية هذه المودة والرحمة ودوامهما[4].

---

١. الروم: ٢١.

٢. الأعراف: ١٨٩.

٣. كم غضبة، وكم استياءة، وكم حدة مزاج تحدث بين الزوجين مما لا يمكن أن يحدث بين صديق وصديق كثرة إلا وفرّق بينهما، بينما تبقى العلاقة الزوجية صامدة أمام كثير وكثير من التحديات في العادة. «منه حفظه الله»

٤. هناك رحمة ومودة بين الزوجين من فيض الله التكويني، ولكن ليس للحد الذي يُعفي الإنسان عن اختيار الصفات الحميدة، الصفات العالية في كلٍّ من الزوجين من أجل دعم هذا القدر التكويني من المودة والمحبة للإبقاء على العلاقة الزوجية في أرقى مستوياتها. «منه حفظه الله»

إن مودة ورحمة بين الزوجين تبداءن مبكراً بينهما من جعل الله سبحانه، والاختيار الحسن يزيد من قوتهما، وتعامل الزّوجين في ضوء شريعة الله وأخلاقيات الدين الحق يرفع من مستواهما، ويدرأ عن هذه العلاقة ما قد تُصاب به من اهتزازات وتصدّعات، ويُسيء لكرامتها.

في تفسير الثّعلبي عن المشيخة: «أنّ رجلا أتى النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلم فقال: يا نبي الله لقد عجبت من أمر وإنه لعجب[1]، إن الرجل ليتزوج المرأة وما رآها وما رأته قط حتى إذا ابتنى بها اصطحبا وما شيء أحب إليهما من الآخر. فقال رسول الله ﷺ[2]: ﴿...وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً...﴾[3]»[4].

٣. الربط الأسري

الزواج فيه مصاهرة بين أسرتين يُحدث بينهما التعارف والتقارب والتآلف، ويُقوّي الروابط، ويشد الأواصر، ويمتّن العلاقات. وتتسعُ شبكة الاتصال الودّي بين النّاس، وينتشر النسب عن طريق الأولاد المنحدرين من الزوجين المتلاقين بالقرابة منهما. وهكذا تتآلف القلوب، وتتلاقى النفوس، وترتفع الحواجز التي تفصل بين النّاس وتجعلهم أشتاتاً على رأس مسافات بعيدة بعضهم من بعض.

عن الإمام الهادي عليه السلام: «إنّ اللّهَ جَلَّ وعَزَّ جَعَلَ الصِّهرَ مَألَفَةً لِلقُلوبِ ونِسبَةَ المَنسوبِ، أوشَجَ[5] بِهِ الأَرحامَ، وجَعَلَهُ رَأفَةً ورَحمَةً، إنّ في ذٰلِكَ لآياتٍ لِلعالَمينَ»[6].

---

١. عجبي ليس بلا موضوع، عجبي في مكانه، فإنّ الأمر نفسه يحمل عجبا. «منه حفظه الله»

٢. مفسّرا هذا الأمر. «منه حفظه الله»

٣. الروم: ٢١.

٤. *تفسير الثعلبي*: ٢٩٩/٧، ط ١.

٥. الواشجة: الرحم المشتبكة. (القاموس). «منه حفظه الله»

٦. *الكافي*: ٣٧٣/٥، ط ٣.

وشجت العروق والأغصان اشتبكت، فالمصاهرة تشد الأرحام بعضها إلى بعض، وتخلق منها شبكة واحدة مترابطة واسعة لتعطي للمجتمع الإنساني التلاحم والقوّة والمتانة، وتزيده من فرص التعاون على الخير، والبناء الصالح الحميد.

وتلتقي الكلمة عن الإمام الرِّضاﷺ مع سابقتها عن الهاديﷺ في الدلالة على هذه الحكمة من حكم الزواج.

فعنهﷺ: «لَو لَم يَكُن فِي المُناكَحَةِ وَالمُصاهَرَةِ آيَةٌ مُحكَمَةٌ، ولا سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ[1]، ولا أثَرٌ مُستَفيضٌ، لَكانَ فيما جَعَلَ اللّهُ مِن بِرِّ القَريبِ، وتَقريبِ البَعيدِ، وتَأليفِ القُلوبِ، وتَشبيكِ الحُقوقِ، وتَكثيرِ العَدَدِ، وتَوفيرِ الوَلَدِ لِنَوائِبِ الدَّهرِ وحَوادِثِ الأُمورِ، ما يَرغَبُ في دونِهِ العاقِلُ اللَّبيبُ، ويُسارِعُ إلَيهِ المُوَفَّقُ المُصيبُ»[2].

٤. الغرض الرسالي

يمتد نظر المسلم الواعي والمؤمن الغيور على الدين العارف بما هو عليه من شأن عظيم إلى أن يكون من نتيجة زواجه ذريةٌ صالحة ذاكرة لله تعمل على إعلاء كلمته في الأرض، وتضع حركة الإنسان فيها على مسارها الصحيح متّجهة إليه سبحانه مهتدية بهديه، مستهدفة رضاه.

يقول الكتاب العزيز: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[3].

ومن دعاء إبراهيم وإسماعيلﷺ في طلب الذرية الصالحة قول الكتاب العزيز على لسانهما: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً

---

١. افرض أن لا يوجد ترغيب، ولا توجد دعوة في الإسلام للزواج.

٢. *الكافي*: ٣٧٤/٥.

٣. آل عمران: ٣٨.

لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١].

وعن الرسولﷺ: «ما يَمنَعُ المُؤمِنَ أن يَتَّخِذَ أهلاً؟! لَعَلَّ اللّهَ أن يَرزُقَهُ نَسَمَةً تُثقِلُ الأرضَ بِلا إلهَ إلّا اللّهُ»[٢].

وفي ضوء الأهداف الأخلاقية والصحيّة والاجتماعية والإنسانية والرسالية الكريمة يكون الاختيار الواعي للزوج والزوجة لبناء الأسرة الناجحة[٣]، والحياة الأسرية المريحة في أجوائها الرّاقية المفعمة بالودّ والرحمة والتعاطف والتعاون على البر والتقوى، والهناء والكرامة[٤].

غايات الزواج في الإسلام

١. لا جمود عند الغريزة

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]. ليس لقاءً جنسياً غليظاً، ولا تنفيساً عن الغريزة الجنسية فقط للتخلص من شحنتها العائقة عن سلوك درب الكمال. إنما يراد مع ذلك أن تبنى الخلية الأولى الاجتماعية بنيةً محكمة، قائمةً على أمتن العلاقات من الود والحب والرحمة والاحترام.

«ما بني في الإسلام بناءٌ أحب إلى الله ، وأعز من التزويج»[٦] عن الرسولﷺ.

إنه البناء المحبوب إلى الله وما يحبه الله هو أن تخلص القلوب وتطهر،

---

١. البقرة: ١٢٨.

٢. من لا يحضره الفقيه: ٣٨٢/٣، ط ٢.

٣. وأنت تريد الزواج، وأنتِ تريدين الزواج لا بد أن يستذكر كلٌ منكما هذه الأهداف للزواج حتى يكون اختياره في ضوء ما هي الأهداف الصحيحة له. «منه حفظه الله»

٤. خطبة الجمعة (٥٢٢) ١١ ذو القعدة ١٤٣٣هـ ـ ٢٨ سبتمبر ٢٠١٢م.

٥. الروم: ٢١.

٦. بحار الأنوار: ٢٢٢/١٠٠.

وأن تعيش الحب لا الحقد، وأن يكون ما بها حسن النية لا سوء النية، وأن ينطلق من شعاعها ومن علاقتها بالله التعاون على الخير، لا التهارش ولا التنافس ولا التباغض من أجل الدنيا[١].

٢. أن يكون نكاحاً لله

«من نكح لله ـ أي من أجل الله، طاعةً لله، تزوج من أجل الله ـ وأنكح لله ـ زوّج ولداً أو بنتاً ـ استحقَّ ولاية الله»[٢] عن الرسول ﷺ.

أنْ تتزوج وزواجك لله، من أجل أن تبني بيتاً رفيعاً من الإيمان، من أجل أن تؤسس أسرة مسلمةً قائمة على الحق قائمةً به، من أجل أن تنتج جيلاً عابداً لله، مصلحاً في الأرض، إذا كان زواجك من أجل هذا فأنت تستحق ولاية الله. إما أن تدخل في عداد أوليائه، أو أنه هو المتولي لأمرك في كلّ شؤونك بما يتولى به من أحب من عباده، فيكفيك ويغنيك ويسدد خطاك، ولا يدع للمشكلات. تستولي عليك، أن تستحق هذا الموقع في متعة من متع الدنيا حيث تتجاوز بها إلى الهدف العبادي وتقصد بها وجه الله... حيث تستر نفسك، وتكف عرضك، وتصون ذاتك عن الدنس، وتؤسس لجيل مؤمنٍ عابد. يكون هذا ومعه ما هو لمن أنكح لله. كمن زوّج ولداً أو بنتاً لله لنفس الأغراض السابقة أيضاً يكون مستحقاً لولاية الله[٣].

«من نكح وأنكح لله استحقَّ ولاية الله»:

ينكح: يتزوج، نكح: تزوج، أنكح: زوج، فمن تزوج وزوج ولداً أو زوج بنتاً لله، لوجه الله على طريق الله، للأهداف التي رسمها الله، للغاية التي حددها الله،

---

١. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ ـ ٢٨ ـ ١٢ ـ ٢٠٠١ م

٢. *ميزان الحكمة*، الري شهري: ١١٧٨/٢، ط دار الحديث.

٣. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ ـ ٢٨ ـ ١٢ ـ ٢٠٠١ م

من بناء بيت مسلم رفيع، ومن ترفع على ضغط الشهوات والنزوات، ومن التفرغ لصرف الطاقة فيما يليق، ومن سد أبواب كثيرة على الشيطان، من استهدف من نكاحه أو إنكاحه، من زواجه أو تزويجه هذا الهدف كان من نال ولاية الله، وولاية الله عنايته، أن يتولى الله شيئاً به يعني أن يدبر أمره في كلّ صغيرة وكبيرة حتى في المساحة الإرادية من حياته، فيكون الله بذلك دليله وعينه ويده، يسدده ويصوب خطاه ونطقه بالحكمة ويحرسه من بين يديه ومن خلفه، فلا تهجم الهواجم على قلبه لتفسده، ولا تهجم الهواجم على نفسه لتلوثها، وهذا يكون دائماً في مأمن من الله، ومن كان في مأمن من الله فلا خوف عليه[١].

٣. صوناً للنفس والدين

«ما من شابٍ تزوج في حداثة سنه إلا عجّ شيطانه: يا ويله يا ويله، عصم مني ثلثي دينه، فليتق اللهَ العبدُ في الثلث الباقي»[٢] عن الرسول ﷺ.

فالزواج هنا لحماية الدين، لحماية الذات الإنسانية، لرفع العوائق عن السلوك إلى الله. فالزواج في الإسلام ليس قضاء شهوة، وليس تنفيساً عن غريزة فقط، إنما هو خطوة على طريق الكمال والبناء، خطوة على طريق صناعة النفس، صناعة الجيل، صناعة المجتمع الكبير المتجه إلى الله.

إذن فالزواج في الإسلام لا يمثل جموداً عند الغريزة واستجابة سمجةً ساذجة لها فقط[٣].

«ما من شاب تزّوج في حداثة سنه إلا عجّ شيطانه: يا ويله، يا ويله! عصم مني ثلثي دينه، فليتق الله العبد في الثلث الباقي».

---

١. خطبةالجمعة (١٣) ٧ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ ـ ٢٩ ـ ٦ ـ ٢٠٠١م

٢. *بحار الأنوار*، المجلسي: ٢٢١/١٠٠.

٣. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ ـ ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١م.

انظر كم يعصم الزواج من دين الإنسان، والزواج يأتي في غرض كبير منه ليعصم هذا القدر أو ذاك من دين الإنسان[1].

أهمية الزواج المبكّر

من الغريب جداً أن يبلغ الشاب من العمر عشرين سنة وأكثر، ويجد مكسباً معيّناً، ويُعلن عن رغبته في الزواج فيعترضَ والده هذه الرغبة ويرى الوقت مبكّراً، أو يقبضَ يده عن مساعدة ولده مع قدرته واضطرار الولد إلى الزواج. ألم نقرأ من الإسلام شيئاً في هذا الجانب أم قد رغبنا عن الإسلام، وكفرنا به عملاً، وقدّمنا عليه الثقافة المستوردة التي تنطلق من بهيمية أهل الدنيا، ومن خطط المفسدين في الأرض؟!

من المنقول عن الرسول صلى الله عليه وآله: «ما من شاب تزوّج في حداثة سنّه إلا عجَّ شيطانه: يا ويله، عصم مني ثلثي دينه، فليتق اللهَ العبدُ في الثلثِ الباقي»[2]، وعنه صلى الله عليه وآله: «من أحبَّ أن يلقى اللهَ طاهراً مطهَّراً فليلقه بزوجة»[3]، وفي حديث ثالث للرسول صلى الله عليه وآله: «شرار موتاكم العزّاب»[4].

دعوة للعلماء وأصحاب الرأي

ادرسوا منهج الله، طالعوا شرع الله، لو فعلنا بإمعان ولو تفرغت فرق كُفأة صبورة على دراسة شرع الله، ووفاءه بحاجات الإنسان، حاجات البشرية كلها، وكيف يتوفر على أبلغ الحكم، وكيف يأتي نسيجه، نسيجاً متكاملاً لا ثلمة فيه ولا نقص ولا تهافت ولا تناقض، وكيف يأتي الدين كملاً نسيجاً واحداً

---

١. خطبة الجمعة (١٣) ٧ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ - ٢٩ يوليو ٢٠٠١م.

٢. *بحار الأنوار*، المجلسي: ٢٢١/١٠٠.

٣. المصدر: ٢٧١؛ عن بح: ٢٢٠/١٠٣.

٤. المصدر: ٢٧٥؛ عن بح: ٢٢٠/١٠٣.

متوافياً متلاقياً ليشهد بعظمة الله، وليقوم برهاناً قاطعاً على أحقية الدين من غير حاجة إلى براهين أخرى، ولكن النقص في التوجه لدراسة الإسلام والنقص في الكفاءات وفي التفرغ لما ينبغي أن يقدم من علوم الإسلام، لحساب الاشتغال هنا تفريط لحساب الاشتغال بما لا ينبغي أن يقدم، نعم ويلفت هذا الأمر النظر إلى درس كبير، إلى خطورة الدافع الجنسي، وكيف أن الإسلام حدد أن هناك ثغراً مفتوحاً على نفس الإنسان المسلم، وطريقاً خطيراً لغزو هذا الإنسان المبني بناءً إيمانياً، وأن هذا الطريق سيكون أربح طريق بيد الكفر العالمي وأخطر منفذ ينفذ منه إلى نفس أهل الإيمان، وإلى مجتمع الإيمان، لأن عدم سد هذه الثغرة عدم التزويج يعني أن ثلثي دين الإنسان مهدد بالانهيار، وأن صون هذين الثلثين وحفظهما يتطلب أن يكون زواجٌ، وزواجٌ مبكر، فلنتق الله في من كان محتاجاً للزواج، وفساده فسادنا[١].

مميزات الزواج المبكّر

يتوفر الزواج المبكر على ميزات منها

١. يسدُّ باباً مهمّاً من أبواب الشيطان للانحراف بالمؤمن عن دينه، وسقوط شخصيته.

٢. يسدُّ باباً خطيراً من أبواب القلق والتأزُّم والعقد النفسية التي قد لا يُتدارك أمرها مع تأخر الزواج.

٣. الإحساس بمسؤولية الأسرة ماديّاً ومعنويّاً يدفع إلى تركُّز الشخصية وعدم تسيبها، وترك التكاسل في طلب الرزق، والنشاطِ في العمل، وربما دخل الإقبال على العمل، وعدم التساهل فيه تحت قوله ﷺ: «اتخذوا الأهل فإنه أرزق لكم»[٢]

١. خطبة الجمعة (١٣) ٧ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ ـ ٢٩ ـ ٦ ـ ٢٠٠١م

٢. *ميزان الحكمة*: ١٧٣/٤؛ عن بح: ٢١٧/١٠٣.

فإنَّ مع ما يقرره الحديث على حدّ نصوص أخرى في هذا المجال مِنْ تكفُّل الله بعون المتزوج طلباً للعفاف عمَّا حرم الله، يُلحظ أن التأهل يدفع إلى العمل. وعن التكفل الخاص من رازق العباد لمن تزوج لوجه الله نقرأ هذا الحديث الوارد عن الرسول الأمينﷺ: «حقٌ على الله عون من نكح التماس العَفاف عمّا حرّم الله»[1] ومعنى حقٌ على لله أنه سبحانه أثبت على نفسه تفضّلاً وتكرّماً منه أن يلطف بعبده.

٤. يساعد الحضور القويُّ المؤثر للعواطف في الزواج المبكر، وقبل التوغل في التحليلات العقلية والدراسة النقدية المركّزة عند كلّ من الزوجين للطرف الآخر على خلق التمازج العاطفي الشديد بين الزوجين مما يتيح فرصة تفاهم أكبر حينما تأتي المشكلات والاختلاف في وجهات النظر من بعد حين، ويكون الصبر من كلا الطرفين على الآخر أقرب، والتفكير في الافتراق أبعد بحكم الإنشداد الكبير والارتباط المترسِّخ.

٥. الزواج المبكّر يُقلل من ظاهرة العنوسة التي تبرز بوضوح عندما يتأخر سنُّ الزواج عند الشاب فهو في هذه الحالة لا يتزوج ممن تقرب من سنّه، بعكس مما لو كان تزوجه في سنّ الثامنة عشرة مثلاً فإنه يستسيغ أن يتزوج بنت السادسة عشرة. وكلما تأخر سنُّ الزواج عند الشاب فاتت عدداً من الفتيات فرصة الزواج بدرجة أكبر.

٦. وعن تربية الولد فإن الشاب أكثر تفرّغاً للإقبال على ولده، وأقربُ للانفتاح عليه، والتصابي له، والاقتراب من أحاسيسه من الكهل الذي تكون الحياة قد شغلته كثيراً بمشاكلها، وبدأ يميل بشدة إلى التعقُّل، والابتعاد مسافة واسعة عن مرحلة الطفولة والصبا وعالمهما المليء بخصائص تنفصل عن خصائص عالم الكهولة والشيخوخة. وكلما كبُر الوليد كبرت تجارب أبيه وخبرته بما يغطّي حاجة التربية إلى هذا الجانب.

---

١. المصدر: ٢٧٤، عن كنز، خ ٤٤٤٤٣.

ثم إنّ الخوف على الرزق لو كان له أن يُوقف قِطار التزويج، لكادت تنقرض قبائل وشعوب بكاملها. والله الخالق العليم الحكيم أعلم بما يلامس قلوب عباده حتى الكثير من المؤمنين من هذه الهواجس وقد جاء قوله عزّ من قائل: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] ملامساً هذه الوساوس محذّراً من الانسياق وراءها بما يعطّل حركة النسل، ويعقّد مسألة الزواج، ويوجد كثيراً من الأزمات[2].

مواصفات شريك الحياة

أسس الاختيار

الصحيح أن يكون اختيار كلّ من الزوجين للآخر في ضوء الدّاعي الفطري لهذه العلاقة، والحاجة الطبيعية التي تدفع إليها، وفي ضوء الأهداف الواعية النبيلة من ورائها، والغايات الكريمة المتوخّاة منها، والأجواء التي تُعطي للطّرفين الرّاحة النفسية، وحالة السَكَن والطمأنينة التي تساعد على نجاح حياتهما وإنتاجها المثمر ورقيّها، وهي الأجواء التي تُرجى لها.

وما يأتي في الكثير من الحالات أن تُسبِّب الحاجة الجنسيّة، وما ترتبط به من حسن الصّورة، وجمال المنظر الخارجيّ، وجاذبيّة هذا الجانب إغفال الجانب المعنويّ في الزوج المنظور إليه والزوجة، فلا يُعتنى بمستوى عقليّ أو روحيّ، أو نفسيّ، أو دينيّ وخلقيّ، وإنما يكون كلّ التركيز على جانب البدن، وما عليه جمال الصورة وجاذبيتها.

والنظرة الدينية تريد للإنسان المسلم أن يقوم اختياره في الزواج على الاهتمام بكلِّ الأبعاد التي تُساعد على استقرار الزواج ونجاحه وأدائه لوظيفته

---

١. النور:٣٢.

٢. خطبة الجمعة (٩٩) ١٩ ذي الحجة ١٤٢٣هـ ـ ٢١ فبراير ٢٠٠٣م.

القريبة والبعيدة، وتحقيقه للأهداف النبيلة العالية المرجوّة منه، ويدخل في ذلك أن يُطلب الجمال بالدرجة المعقولة التي تُساعد على استقرار العلاقة الزوجية، وتُجنِّبُ من هدمها من غير أن يُباع جمال المعنى، وسموّ الذات، وصِدْق الدّين، وأصالةُ النَّسَب، وطهر النفس، ودماثة الخلق، ورجاحة الفهم بما يتراءى جمال الصورة الخارجية، واعتدال القوام والرّشاقة[1].

الأوصاف الجسدية والمعنوية:

وكثيرة هي النصوص الهادية في هذا المجال:

١. في الجانب الجسدي:

عن رسول اللهﷺ: «مَن تاقَت نَفسُهُ إلى نِكاحِ امرَأةٍ، فَليَنظُر مِنها إلى ما يَدعوهُ إلى نِكاحِها»[2].

وعنهﷺ: «إذا أرادَ أحَدُكُم أن يَتَزَوَّجَ، فَليَسألَ عَن شَعرِها كَما يَسألُ عَن وَجهِها، فَإنَّ الشَّعرَ أحَدُ الجَمالَينِ»[3].

والنظر إلى من يريد الشخص التزوّج منها له حدوده وأحكامه المذكورة في الرسائل العملية للفقهاء[4].

وعنهﷺ: «تَزَوَّجوا الأبكارَ؛ فَإنَّهُنَّ أطيَبُ شَيءٍ أفواهاً، وأدَرُّ شَيءٍ أخلافاً[5]، وأحسَنُ شَيءٍ أخلاقاً»[6].

---

١. خطبة الجمعة (٥٢٣) ١٨ ذو القعدة ١٤٣٣هـ ـ ٥ أكتوبر ٢٠١٢م

٢. *موسوعة معارف الكتاب والسنة*، ج٢، ص٢٩٢، ط١.

٣. *من لا يحضره الفقيه*: ٣٨٨/٣، ط٢.

٤. فلا يُغفل ذلك. «منه حفظه الله»

٥. والأخلاف جمع خلف، هو طرف الضرع. «منه حفظه الله»

٦. *تهذيب الأحكام*: ٤٠٠/٧، ط٤. تكملة الحديث: «...وأفتَحُ شَيءٍ أرحاماً. أما عَلِمتُم أنّي أُباهي بِكُمُ الأُمَمَ يَومَ القِيامَةِ، حَتّى بِالسِّقطِ، يَظَلُّ مُحبَنطِئاً على بابِ الجَنَّةِ! فَيَقولُ اللهُ لَهُ: ادخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقولُ: لا، حَتّى يَدخُلَ أبوايَ قَبلي. فَيَقولُ اللهُ تَعالى لِمَلَكٍ مِنَ المَلائِكَةِ ائتِني بِأبَوَيهِ، فَيَأمُرُ بِهِما إلى الجَنَّةِ، فَيَقولُ: هذا بِفَضلِ رَحمَتي لَكَ». «منه حفظه الله»

وعنه ﷺ: «تَزَوَّجُوا الشَّوابَّ فَإنَّهُنَّ أغَـرُّ أخلاقـاً»[1] المعنـي: أنهـن أحـسن خُلُقاً وربما في هذا إشارة إلى كون مزاجهن أهدأ، ولشدّة تعلّق الشّابة بـالزوج تكون معه أصبر، وتودّدها إليه أوضح[2].

وعنه ﷺ: «إغتَربوا لا تُضووا»[3] والضَّوَى: ضـؤولة الجـسم ودقّتـه، ويقـال أضوت المرأة إذا أتت بولد ضاو[4] كما يقال أذكرت إذا أتت بولد ذكر.

وفي الحديث إشارة إلى تأثير القرابة النسبية بين الزوجين وتأثيرها أحيانـاً على جودة النسل.

٢. وعن الجانب المعنوي:

نقرأ من الكثير الوارد فيه شيئاً مما أتى عنه ﷺ:

«مِن سَعادَةِ المَرء الزَّوجَةُ الصّالِحَةُ»[5].

«مَا استَفادَ المُؤمِنُ بَعدَ تَقوَى اللّهِ، خَيراً لَهُ مِن زَوجَةٍ صالِحَةٍ»[6].

«الدُّنيا مَتاعٌ، وخَيرُ مَتاعِ الدُّنيا المَرأةُ الصّالِحَةُ»[7].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «أتى رجل النبي ﷺ يستأمره في النكاح، فقال لـه رسول الله ﷺ: اِنكِح، وعَلَيكَ بِذاتِ الدّينِ تَرِبَت يَداكَ»[8].

وعن الإمام الحسن عليه السلام ـ لرَجُلٍ جاءَ إلَيـهِ يَستَـشيرُهُ فـي تـزويج ابنَتِـهِ ـ:

---

١. *المجازات النبوية للشريف الرضي*: ٣١٢.

٢. وهذا ليس قاعدة عامة، وإنما قد يكون في الأغلب، وقد تأتي كبيرة إلى مدى معين خيراً بكثير من شابة. «منه حفظه الله»

٣. المجازات النبوية للشريف الرضي: ٩٢.

٤. أي ضئيل. «منه حفظه الله»

٥. *الكافي*: ٣٢٧/٥، ط ٣.

٦. *كنز العمال*: ٢٧٢/١٦.

٧. *موسوعة معارف الكتاب والسنة*: ٢٤٩/٢، ط ١.

٨. *الكافي*: ٣٣٢/٥، ط ٣.

«زَوِّجها مِن رَجُلٍ تَقِيٍّ، فَإنَّهُ إن أحَبَّها أكرَمَها، وإن أبغَضَها لَم يَظلِمها»[١].

وعن الرسول ﷺ: «لا يُختارُ حُسنُ وَجهِ المَرأةِ عَلى حُسنِ دينِها»[٢].

ومن الأحاديث عنه ﷺ في هذا المجال: «تَزَوَّجوا فِي الحِجزِ الصّالِحِ، فَإنَّ العِرقَ دَسّاسٌ»[٣] ومكان الحجز في مصدر من مصادر الحديث الحجر، والحجز أنسب للمعنى لأنه بمعنى الأصل.

«اِختاروا لِنُطَفِكُم، فَإنَّ الخالَ أحَدُ الضَّجيعَينِ»[٤] أي أنّ الولد يتأثر وراثياً من أجداد أمّه كما يتأثر من أجداد أبيه، والتأثير الوراثي يشمل جانب المادّة والمعنى.

«إيّاكُم وتَزويجَ الحَمقاءِ؛ فَإنَّ صُحبَتَها بَلاءٌ، ووَلَدَها ضَياعٌ»[٥].

«شارِبُ الخَمرِ لا يُزَوَّجُ إذا خَطَبَ»[٦].

وعن الصادق عليه السلام: «إنَّ مَن زَوَّجَ ابنَتَهُ شارِبَ الخَمرِ، فَكَأَنَّما قادَها إلَى الزِّنا»[٧].

وعنه عليه السلام: «قامَ رَسولُ اللّهِ ﷺ خَطيباً فَقالَ: أيُّهَا النّاسُ، إيّاكُم وخَضراءَ الدِّمَنِ. قيلَ: يا رَسولَ اللّهِ، وما خَضراءُ الدِّمَنِ؟ قالَ: المَرأةُ الحَسناءُ في مَنبَتِ السَّوءِ»[٨].

وأول خطوة على طريق الزواج الصالح، وبناء الأسرة السعيدة أن يرقى الإنسان بنية الزواج من مستوى مجرد الاستجابة لشهوة البدن إلى الحرص

---

١. *مكارم الأخلاق*: ٢٠٤، ط٦.

٢. *كنز العمال*: ٣٠١/١٦.

٣. *مكارم الأخلاق*: ١٩٧، ط٦.

٤. *الكافي*: ٣٣٢/٥، ط٣.

٥. *تهذيب الأحكام*: ٤٠٦/٧، ط ٤.

٦. *الكافي*: ٣٠٠/٥، ط٣.

٧. *من لا يحضره الفقيه*: ٥٨/٤، ط٢. كأنه يكون قوّاداً. «منه حفظه الله»

٨. *الكافي*: ٣٣٢/٥، ط٣.

على حفظ الدين، ومكافحة الشيطان، وبناء الأسرة العابدة، والمجتمع الصالح، وإعلاء كلمة الله في الأرض[١].

عن رسول الله ﷺ: «مَن نَكَحَ للّهِ[٢] وأنكَحَ للّهِ، استَحَقَّ وَلايَةَ اللّهِ»[٣].

دعائم الإسلام: عَنهُ ﷺ «أنَّهُ نَهى عَن نِكاحٍ يُرادُ بِهِ غَيرُ وَجهِ اللّهِ وَالعِفَّةِ، ونَهى عَنِ النِّكاحِ بِالرِّياءِ وَالسُّمعَةِ»[٤].

ويسبق الدعاءَ الاختيار[٥] الكافي عن أبي بصير: قالَ لي أبو عَبدِاللّهِ عليه السلام: «إذا تَزَوَّجَ أحَدُكُم كَيفَ يَصنَعُ؟ قُلتُ: لا أدري! قالَ: إذا هَمَّ بِذلِكَ فَليُصَلِّ رَكعَتَينِ ويَحمَدِ اللّهِ، ثُمَّ يَقولُ:

اللّهُمَّ إنّي اُريدُ أن أتَزَوَّجَ، فَقَدِّر لي مِنَ النِّساءِ أعَفَّهُنَّ فَرجاً، وأحفَظَهُنَّ لي في نَفسِها وفي مالي، وأوسَعَهُنَّ رِزقاً، وأعظَمَهُنَّ بَرَكَةً، وقَدِّر لي وَلَداً طَيِّباً تَجعَلُهُ خَلَفاً صالِحاً في حَياتي وبَعدَ مَماتي»[٦][٧].

الأوصاف الوراثية:

يستهدف الزواج في الإسلام إنشاء جيلٍ من نوعٍ مؤمنٍ قويٍ طاهر، لذلك يضع مواصفات للزواج، للزوجة، للزوج، للعلقة الزوجية، من أجل إنتاج هذا الجيل:

---

١. أعطر زواجك بُعده الاجتماعي والرسالي. «منه حفظه الله»

٢. ماذا تعني من نكح لله؟ يعني طاعة لله، من أجل أن أساعد النفس على عبادة الله ، حتى لا يشغلها الشيطان فيصرفها عن طاعة الله . «منه حفظه الله»

٣. *موسوعة معارف الكتاب والسنة*: ٢٨٨/٢، ط١. لهذا ينال محبة الله ونصره وعنايته وتسديده وتوفيقه. «منه حفظه الله»

٤. *دعائم الإسلام*: ١٩٦/٢، ط٢.

٥. نيّة صالحة، ودعاء قبل الإقدام على الخطبة والزواج بالزوجة الصالحة، والزوج الصالح. «منه حفظه الله»

٦. *الكافي*: ٤٨٢/٣، ط٣.

٧. خطبة الجمعة (٥٢٣) ١٨ ذو القعدة ١٤٣٣هـ ـ ٥ أكتوبر ٢٠١٢م.

١. «تزوّجوا في الحجز الصالح فإنّ العرق دسّاس»[١] عن الرسول صلى الله عليه وآله، إذا كان المطلوب هو التنفيس عن الغريزة الجنسية فقط، التخلص من الشحنة المضايقة للجسد فقط، فتكفي المرأة من أي مستوىً ومن أي نوعٍ ومن أي بيئة، لكن لما كان الهدف أكبر من ذلك وهو أن يأتي ذلك الجيل القوى الطاهر العفيف، الذي يبني الحياة ولا يهدمها، ويقود الحياة على طريق الصلاح والإصلاح، لا على طريق الفساد والإفساد، كان لا بد أن تنتقى الزوجة، أن ينتقى الزوج.

٢. «تخيّروا لنطفكم فإنّ النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن»[٢] عن الرسول صلى الله عليه وآله، وأول ما يلحظ في الزوجة إيمانها وأخلاقيتها وقدرتها على الصبر على طاعة الله، وعن معصيته وهناك جوانب أخرى تلحظ في الموضوع كالجوانب الصحية وما إلى ذلك، هذا كله من أجل ذلك الهدف الكبير الذي يتجاوز حدود الشهوة المتسعّرة إلى ما هو أكبر، من بناء الجيل وتنشئة أمة قوية قادرة على ريادة الناس في الأرض على طريق الله[٣].

«تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن» والتفتوا إلى أن الحديث لم يقل أشباه آبائهن وأمهاتهن، إنما قال أشباه إخوانهن وأخواتهن ليكون اللحاظ لكل مصب من مصاب الوراثات الحميدة أو الرذيلة[٤]

٣. «إياك أن تزوّج شارب الخمر فإن زوّجتهُ فكأنما قُدت إلى الزنا»[٥].

كأن ذاك البعيد صار قوّاداً بين ابنته وبين زوجها شارب الخمر، وليس منكحاً لابنته وكريمته للرجل الصالح، ذلك لأن المنظور هو: الاستقامة، هو

---

١. *ميزان الحكمة*: ١١٨٣/٢، ط دار الحديث.

٢. المصدر نفسه.

٣. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ - ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١م.

٤. خطبة الجمعة (١٣) ٧ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ - ٢٩ يوليو ٢٠٠١م.

٥. *فقه الرضا* عليه السلام: ٢٨٠.

الإنسانية، هو الدين، وشارب الخمر منهار دينياً فكأنه لا زواج شرعي، كأن هذا الزواج منّزلٌ منزلة الزنا، حيث لا يعطي النتائج المطلوبة من الزواج كما ينبغي[1].

أوصاف الرجل:

١. «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته يخطب إليكم فزوجوه، إن لا تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير»[2] عن الرسول ﷺ.

إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته... أول ما يلحظ في الخاطب إنسانيته، سلامة أكبر جانب من جوانب شخصيته، صحته في أهم بعد من أبعاد ذاته وهي صحته الروحية، صحته الدينية. أن تلحظ صحة البدن ذلك لك وهو جيد، أن تلحظ الصحة النفسية ذلك لك وهو جيد، لكن عليك أن تلحظ قبل ذلك صحة الخاطب وصحة المخطوبة على البعد الروحي، الذي يمثل لب الذات وصلب الذات الإنسانية[3].

٢. «تزوجوا في الشكاك ولا تزوجوهم؛ لأنّ المرأة تأخذ من أدب الرجل ويقهرها على دينه»[4].

الشكاك من ناحية دينية، الشكاك في الدين، الشكاك في المذهب، هم مسلمون ولكنهم ليسوا على إسلام تام، يعيشون بعض الشبهات، بعض الانحرافات العقيدية التي لا تخرجهم نهائياً من الإسلامّ، إذا تزوجت الواحدة من هؤلاء أمكنك أن تصنعها، وإذا تزوج منك أحد هؤلاء ابنتك، أمكن له أن يصنعها كما يشاء فتكون أنت قد خنت الأمانة، وهذا هو الغالب، وقد يكون الرجل ضعيفاً في شخصيته، ضعيفاً في إيمانه، ليس له ما يحميه من الذوبان

---

١. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ ـ ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١م.

٢. *أمالي الشيخ الطوسي*: ٥١٩.

٣. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ ـ ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١م.

٤. *الكافي*، الكليني: ٣٤٨/٥.

في الطرف الآخر، فهو وإن كان رجلاً ولكن الطرف الآخر إذا كان أقوى جاءت العلة لتكون حائلاً بين الشخص وبين أن يزوّج ولده أو بين أن يتزوج هذا الشخص نفسه من شكاكة ومن منحرفة على البعد العقائدي لأنها ستصنعه، ستغلبه، ستكسره[١].

ما هي ضمانات استمرار العلقة الزوجية؟

العلاقات الإنسانية بمختلف أنواعها ومصاديقها ـ ومنها العلاقة الزوجية ـ وراء موقف الأطراف منها إحدى خلفيتين: خلفية من صنع الدين الحق، وخلفية من صنع غيره.

١. الأولى خلفية قيم رفيعة، وأخلاق عالية حميدة كخلق الصدق والأمانة والوفاء، وخلفيةُ خوف من الله العظيم رادع عن ظلم العباد، وتطلّعٍ للمثوبة من عنده سبحانه دافعٍ للتضحية في سبيل الآخرين، والوفاء لهم، ودرأ الضرر عنهم، وأداء حقوقهم، والإحسان إليهم.

٢. أما الخلفية الأخرى التي تحدد مواقف الناس في هذه العلاقات فهي المصلحة المادية، والمنفعة الذاتية الدنيوية، وهي الشهرة والظهور والزعامة والتسلّط. وكلما انعدم الدين عند الشخص أو الجماعة، أو خفّ وزنه في النفس كلّما استحكمت خلفية المنفعة المادية الذاتية في تحديد السلوك، وتوجيه مواقفه.

فما استُرخص حق الآخر، أو استُهين بحرمته، وما كان ظلمٌ في الناس إلا بسبب من انتهاج غير منهج الله، أو الجهل به، أو التساهل في أمره، وغلبة الهوى في النفس عليه، لقلة ترسّخه في القلب، وتمكّنه في الروح، وتغلغله في الإنسان.

فرعاية الحقوق والتوقف عن الحرمات، واحترام الكرامة الإنسانية، وإجلال كرامة العلم والإيمان، والإخلاص والوفاء والأمانة والتضحية الواعية على طريق الخير، والبناء الرشيد، والاستثمار الصالح للمواهب الكريمة في

---

١. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ ـ ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١م.

حياة الناس لسعادتهم ورفعتهم، والحفاظ على مصلحة الآخر، والأخذ بكريمة الإيثار، كلّ ذلك من إنتاج خلفية العلم والدين والتقوى عند الإنسان.

وما يعطيه مبدأ المنفعة المادية المقابل للدين هو شيء آخر: تنافس غير شريف على الدنيا، احتراب على غنائمها، احتيال من أجل لذائذها، الكذب، الخيانة، استعلاء جاهلي، استغلال سيء للآخر، تغالب بالباطل، تسلّق على أكتاف الآخرين، على سمعتهم، على حساب أمن المجتمع ووحدته، كيد ومكر أسود في العلاقات الخاصة، والعلاقات العامة، ركوب لكل مراكب ـ شريفها وخسيسها ـ لتحقيق الأغراض المادية الساقطة.

فلسلامة أي علاقة ووفائها وإخلاصها وخلو جوّها من الخيانة والكذب والإساءة وكل الأمور الساقطة الظلامية المنافية للخلق الكريم، ومن أغراض السوء والإضرار الظالم بالآخر لا بد من خلفية الدين والتقوى.

والعلاقة الزوجية لا تخرج عن هذا الأمر على الإطلاق، ومن المستحيل أن ينتج مبدأ المنفعة المادية الذاتية ـ الذي يأخذ به الغرب، وصرنا نقترب إليه كثيراً وعلى كثير من المستويات الرفيعة في الناس ـ أي علاقة من العلاقات الإنسانية الناجحة التي يسود جوّها الصدق والإخلاص والوفاء والأمانة، ونصيحة الآخر ورعاية حرماته، والحفاظ على مصلحته وكرامته.

والذين يطلبون أسرة تسودها أجواء هذه المعاني الكريمة بعيداً عن خلفية الدين وقيمه العالية، وتشريعاته العادلة، وأحكامه الرشيدة، وأخلاقياته الرفيعة، ومقاصده الشريفة إنما يسعون وراء السراب مجانين أو واهمين[١].

حقوق الزوجين وواجباتهما

العلاقة الزوجية فيها واجبات وحقوق قانونية كواجب النفقة على الزوج،

---

١. خطبة الجمعة (٣٧٣) ٢٥ جمادي الثاني ١٤٣٠هـ ـ ١٩ يونيو ٢٠٠٩م.

وواجب التمكين من جهة الزوجة، ويترتب على ذلك أن يُلزم القانون المفرّط في النفقة مع القدرة بدفع ما يتدارك هذا التقصير، كما يترتب على حالة النشوز عند الزوجة سقوط النفقة كما هو معروف عند الفقهاء.

وهناك واجبات وحقوق خُلُقيّة التخلّف عنها يقلل من الشأن الإيماني والمنزلة الإنسانية للمتخلّف عنها.

وتفريط أحد الطرفين في واجب من واجباته لا يُسقط حقوقه كلّها ما كان قائماً منها على موضوع الزوجية أو بحكم العلاقات الأخرى كعلاقة الإيمان والإسلام؛ فالتقصير في النفقة، أو حالة النشوز مثلاً لا تفتح الباب أمام الآخر لغيبة الطرف المقصِّر بصورة حرّة، ولا تتيح له أن يتنازل عن كلّ واجباته في قبال الآخر[١].

والحقوق في العلاقة الزوجية منها ما هو قسمة بين الطرفين، ومنها ما هو مسؤولية كلّ منهما، والمطلوب هو التنافس في أداء الواجب، والتساهل في تقاضي الحق. والسابق في هذا وذاك من الزوجين هو الأكرم والأربح عند الله تبارك وتعالى، وهذه صور من تقابل الواجبات، وتقابل الحقوق في العلاقة ما بين الزوجين:

أولاً: علاقة موثّقة وحقّ عظيم

تقول الآية الكريمة: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[٢]، الميثاق: الزواج وهو «عقد يجري على ما في كتاب الله وسنة رسولهﷺ من شروط وحقوق وواجبات وآداب وخلق كريم وهدف نبيل»، هذا العقد والميثاق يصفه ربنا العظيم بأنه غليظ، موثّق، مشدّد، مؤكّد، وكيف

---

١. خطبة الجمعة (٣٧٤) ٣ رجب ١٤٣٠هـ - ٢٦ يونيو ٢٠٠٩م.

٢. النساء: ٢١.

نعمل إلى هلهلة ميثاق عقدته حكمة الباري تبارك وتعالى ووثّقته وأكّدته؟!

وعن رسول الله ﷺ: «أعظم النّاس حقّاً على المرأة زوجها، وأعظم النّاس حقّاً على الرجل أمّه»[١].

ولنتنبه أن ليس من معنى هذا أن حقّ المرأة على الرجل قليل، بل هو عظيم أيضا كما تصفه النصوص. ولكن التركيز هنا على حقّ الرجل على المرأة ويقابل هذا الحق وهو حقّ الطاعة في حدود الحق، وفي ما لا يغضب الله تبارك وتعالى، وفي ما لا يعني جوراً على المرأة، من حقوق المرأة على الرجل ما قد يثقل على كاهل الرجال، عنه ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلاّ من فاحشة مبيّنة»[٢].

فكم يمكن أن يكون من أذى، ومن تجاوز، ومن تقصير، ومع ذلك ينبغي للرجل أن يتمسك بالعلاقة الزوجية احتراماً لميثاق الله ولهذا الإنسان الذي رضي الارتباط به، وربما غلبه الغضب والعاطفة بعض الأحيان فلا بد من الصبر عليه كلّ ما أمكن.

ثانياً: تبادل عاطفي

الإمام الصادق عليه السلام: «لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهن: صيانة نفسها عن كلّ دنس[٣] حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته[٤] ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلة تكون منها، وإظهار العِشق له بالخِلابة[٥]، والهيئة الحسنة لها في

---

١. *كنز العمال*: ٣٣١/١٦.

٢. *بحار الأنوار*: ٢٥٣/١٠٠.

٣. دنس مادّي ودنس معنوي، والمنظور إليه هنا في الأكثر هو الدنس المعنوي.

٤. حياطته تعني المحافظة على عرضه، على ماله.

٥. حلاوة اللسان والقول الطيّب.

عينه»[١] ينبغي للزوجة أن تكون كلماتها معسولة مع زوجها من غير أن تكون كاذبة، وأن تتخذ من هيئتها ما يقرّبها ويحبّبها إلى قلب هذا القرين.

عن رسول الله ﷺ: «قول الرجل للمرأة (إنّي أحِبُّكِ) لا يذهب من قلبها أبداً»[٢].

قول جميل من المرأة يحبّبها للرجل، وقول جميل وملذّ ومطمئن للمرأة، والمرأة تطلب أن يكون الرجل معجباً بها، فلا بد من كلمات تطمئنها من هذا الجانب، وتجعل نظرها كلّه مشدوداً إلى قلب الزوج.

لا تهنأ الزوجة ولا ترتاح ما لم تشعر بأنها تملأ قلب زوجها، فإنها دائماً تبحث عمن تملأ قلبه، ومن دين الرجل وعقله وخلقه أن يُشبع هذا الشعور في نفس الزوجة.

ثالثاً: جاذبية المظهر

عن الحسن بن جهم قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام اختضب فقلت: جعلت فداك اختضبتَ؟! فقال: نعم، إن التهيئة مما يزيد في عفة النساء» ثم قال ـ أي الإمام عليه السلام: «أيسرك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟» قلت: لا، قال: «فهو ذاك»[٣].

أتحب أن تراها غير متهيئة لك، وعلى مظهر غير لائق، على هيئة منفّرة، حتى تسمح لنفسك أن تريها منك هذا الشيء؟ وكما تحب أن لا تراها إلا جميلة، جذّابة، كذلك عليك أن تظهر بالمظهر الذي يرضيها.

قلت لا. قال: «فهو ذاك» يعني كما تطالب الزوجة فطالب نفسك.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين

---

١. *بحار الأنوار*: ٢٣٧/٧٥.

٢. *الكافي*: ٥٦٩/٥.

٣. *الكافي*: ٥٦٧/٥.

زوجته وهي الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبّتها وهواها[١]، وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها»[٢].

شحّ الرجل على أهله مما تبغضه المرأة ويكون فاصلاً بين لقاء قلبها مع قلب الزوج. هذا الشحّ كأنه لا يبقى عند حدّه المعروف، وإنما يُشعر بعدم التقدير، وعدم المودّة، وعدم الاعتزاز.

رابعاً: التعاون الودّي

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من حسُن بِرّه بأهله زاد الله في عمره»[٣]. والحديث واضح.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «سألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله عن فضل النساء في خدمة أزواجهن فقال: «أيُّما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلاّ نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذّبه»[٤].

منقذ بسيط سهل من النار وهو أن تعتني المرأة ببيت زوجها إخلاصاً وتوجّها بهذا العمل الزهيد إلى الله الذي يقبل اليسير ويجازي بالكثير.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيُّما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام غلّق الله عنها سبعة أبواب النّار[٥]، وفتح لها ثمانية أبواب الجنّة تدخل من أينما شاءت»[٦].

---

١. هو إظهار الانسجام، إظهار الرضا، يفعل هذا حتى يجتلب موافقتها ومحبتها وهواها. يظهر لها أن هواه معها، ويظهر لها من محبتها ما يريحها، فتفعل معه نفس الموقف.

٢. *بحار الأنوار*: ٢٣٧/٧٥.

٣. *ميزان الحكمة*: ١١٨٦/٢.

٤. *بحار الأنوار*: ٢٥١/١٠٠.

٥. وليس للنار باب ثامن. «منه حفظه الله»

٦. *ميزان الحكمة*: ١١٨٦/٢.

وعنه ﷺ: «لا يخدم العيال إلاّ صدّيق، أو شهيد، أو رجل يريد الله به خير الدّنيا والآخرة»[1].

حقوق وواجبات متبادلة، وإحسان متبادل فكما تخلص المرأة للرجل الزوج وتخدمه، كذلك الرجل يقف نفس الموقف من زوجته، ولا يأبى أن يقدم لها الخدمة المناسبة.

دفع وحث كبير على أن يتعاون الرجل مع زوجه حتى في البيت.

خامساً: المطايبة والملاطفة

«جهاد المرأة حسن التبعّل»[2] وهو عنوان واسع، وله تطبيقاته في الفراش، وله تطبيقاته في عموم الوقت، وفي الغيبة والحضور، وعلى مستوى الوجه واللسان، وعلى كلّ مستوى من المستويات مما تستطيعه المرأة.

تحاول المرأة أن تبقي على العلاقة الزوجية طاهرة مؤنسة بنّاءة تعين على طاعة الله تبارك وتعالى، تعمل على خلق جوّ بيتيّ هادئ لطيف خالٍ من المشكلات والمعكرات، وهي مسؤولية تعمُّ الرجل ولا يُستثنى منها[3].

«ما من امرأة تسقي زوجها شربة ماء إلاّ كان خيراً لها من سنةٍ صيام نهارها، وقيام ليلها»[4].

صيام وقيام مستحبان إما أن تقوم بهما، وإما أن تعمل على إراحة زوجها وهي لا تستطيع الجمع بين هذا وذاك فتقدم التالي على الأول. تسقي زوجها شربة ماء حسب الظاهر ليس أن تعطي زوجها شربة ماء، وإنما هي حسب

---

١. *بحار الأنوار*: ١٠١/١٣٢.

٢. *الخصال*: ٦٢٠.

٣. خطبة الجمعة (٣٧٥) ١٠ رجب ١٤٣٠هـ - ٣ يوليو ٢٠٠٩م.

٤. *وسائل الشيعة*: ١٤/١٢٣.

الظاهر مسألة ملاطفة، ومسألة إيناس، بمعنى أنها تسقيه بيدها[١].

العبادة المستحبة، ولا يكثر ذلك عليك، فإن الخلية الأولى للمجتمع هي الأسرة، والأسرة إذا ابتنت على التعاون والتناصر في الحق والإيثار والتضحية، ابتنى المجتمع الكبير قوياً متماسكاً والعكس بالعكس، والدين لا يسلم كله في ظل أسرة متحطمةٍ تعيش الفوضى والتباغض وفقد الثقة والشك، لا يكاد يبقى دينٌ عند طرف من أطراف أسرةٍ تعيش حالة التبعثر وحالة الكيد وحالة التباغض والسعي للشر[٢].

وعنه ﷺ: «إذا سقى الرجل امرأته أُجر»[٣] أي سقيٍ هو؟ كذلك قد يكون من باب الملاطفة والمطايبة وتمتين العلاقة العاطفية، والإشعار بالعناية والحب بأن يحمل الكأس بيده ويسقيها. هذا جوٌ لا تعرفه القوانين الوضعية، ولا تخلقه[٤].

وعنه ﷺ: «إن الرجل ليؤجرُ في رفع اللقمة إلى فيّ امرأته»[٥] إلى فم امرأته: يعني تطييباً لخاطرها، إدخالاً للسرور عليها، إشعاراً لها بالمحبة والمودة[٦].

وعنه ﷺ: «جلوس المرء عند عياله أحب إلى الله من اعتكاف في مسجدي هذا»[٧].

جلوس عند الزوجة يصلح أمراً قد أفسد ما بينهما مثلاً. الزوجة محتاجة إلى إيناس، مستوحشة من ظرف، أيعتكف أم يبقى مع الزوجة ليرفع عنها ما بها من ضيق نفس، الثاني أفضل كما في الحديث[٨].

---

١. خطبة الجمعة (٣٧٥) ١٠ رجب ١٤٣٠هـ ـ ٣ يوليو ٢٠٠٩م.
٢. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ ـ ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١م.
٣. *ميزان الحكمة*: ١١٨٦/٢.
٤. خطبة الجمعة (٣٧٥) ١٠ رجب ١٤٣٠هـ ـ ٣ يوليو ٢٠٠٩م.
٥. *ميزان الحكمة*: ١١٨٦/٢.
٦. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ ـ ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١م.
٧. *ميزان الحكمة*: ١١٨٦/٢.
٨. خطبة الجمعة (٣٧٥) ١٠ رجب ١٤٣٠هـ ـ ٣ يوليو ٢٠٠٩م.

سادسا: التحمّل والصبّر

عن الرسول ﷺ: «من صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه، أعطاه الله تعالى بكل يوم وليلة يصبر عليها من الثواب ما أعطى أيوب ﷺ على بلائه، وكان عليها من الوزر في كلّ يوم وليلة مثل رُمْل عالج[1]»[2].

الرجل والمرأة قد يلتقيان في خلق وقد يفترقان، ولكلٍّ مزاج، وقد يكون بينهما التفاوت العلمي، التفاوت الاجتماعي، والتفاوت في مستوى الذكاء، وكلّ هذا يمكن أن يحدث مناقشات وسوء فهم.

وهناك المزاج الحادّ الذي قد يتسبب في إزعاجات من الزوجة للزوج وكذلك العكس، والذين يدخلون بيت الزوجية بأمل أن يعيشوا جنّة الخلد، والصفاء الكامل، والسعادة الدائمة، والتوافق المستمر، وأن ينزل أحدهما عند رغبة الآخر بالكامل واهمون. ادخل بيت الزوجية متفائلاً، بانياً على المودّة والرحمة، واعمل جهدك في هذا السبيل، ومثلك في هذا أهلك، ولكن فليتدرع كلّ منكما بدرع من الصبر، وإلا لن تستقيم العلاقة الزوجية، وأوّل أيام الزواج غيرها بعد مضي وقت، ومن المقدّر أن يتكشّف لكِ من زوجكِ، ويتكشف لزوجك منك ما لم يكن يعرفه أحد منكما من الآخر. وأنّ تصوّر أنك تتزوج واحدة من الحور العين، والتي تلتقي مع رؤاك في كلّ لحظة، وفي كلّ نقطة، شيء يحتاج إلى التعديل.

أنت تعيش مع أب وأم، ومع أخوات، ومع أصدقاء، وتجد أن العلاقة قد تمر بمشكلة وأخرى. زوجك إنسان، وأنت إنسان، وكلٌّ له تصوراته وآماله وطموحاته ومستواه، فمن المقدر أن يكون شيء من الاحتكاك، فما لم يكن صبر من الزوجين لا تبقى علاقة.

---

١. جبال متواصلة يتصل أعلاها بالدهناء، والدهناء بقرب اليمامة. انظر المصباح المنير

٢. *ميزان الحكمة*: ١١٨٧/٢.

وعنهﷺ: «من صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها مثل (ثواب) آسية بنت مزاحم»[١].

وماذا يساوي صبر أحدنا على أخيه وقرينه من الثواب الذي وعد الله تبارك وتعالى به؟ أهل الدنيا إذا صبر بعضهم على بعض ربما ذهب صبرهم بلا ثواب، أمّا طالبو الآخرة والذين يسعون لمرضاة الله ، وتعاملهم في الأصل مع الله قبل تعاملهم مع الآخر فإن أجرهم لا يضيع.

سابعاً: لا أذى

عن رسول اللهﷺ: «ألا وإن الله ورسوله بريئان ممن أضرَّ بامرأة حتّى تختلع منه»[٢].

انظر ثقل الكلمة، ثقل الحكم، وهو براءة الله ورسوله ممن أضر بزوجته لتختلع منه، وتطلب الطلاق بعوض.

وعنهﷺ: «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها، ولا حسنة من عملها حتّى تعينه وترضيه وإن صامت الدهر... وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً»[٣] مسؤوليات، وحقوق متوازية، ومتبادلة.

ثامناً: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

ضابطة كليّة تحكم كلَّ تصرفات الزوج وتصرفات الزوجة، وتضع حداً للطاعة والمداراة والمجاملة والترضية.

الإمام الصادقعليه السلام: قال رسول اللهﷺ: «من أطاع امرأته أكبّه الله على وجهه في النّار، قال: وما تلك الطاعة؟ قال تطلب إليه... الثياب الرقاقَ

---

١. *بحار الأنوار*: ٢٤٧/١٠٠.

٢. *ثواب الأعمال*: ٢٨٧.

٣. *وسائل الشيعة*: ١٦٣/٢٠.

فيجيبُها»[1] الثياب الرقاق التي تثير الأجنبي، والتي تمثّل لوناً من التهتّك عند المرأة، وهذا معصية لله، والدخول في معصية الله يهرب منها المؤمن كلّ الهرب لأن جزاءها لا يُطاق. وهل للمرأة أن تستجيب لطلب خارج عن طاعة الله من زوجها؟ الأمر هو الأمر. فليخسأ الزوج الذي يطلب من زوجته أن تتعرّى، أن ترتكب معصية تشتري بها رضاه، وغضب الله.

يدخل الحديث في عنوان آخر وهو شعار حقوق المرأة.

وهو شعار صار يُرفع بقصد التغريب والأغراض السياسية الدنيئة، والتقليل من شأن الإسلام، والتزهيد فيه، والنفرة منه.

هناك مزايدة كاذبة على الإسلام في حقوق المرأة، ومسلّم أن على الرجل واجبات وله حقوق، وعلى المرأة واجبات ولها حقوق، ولكنّ كلّ الأمر يتمركز في هذا السؤال: ما هو المرجع في كلّ ذلك وغيره من الحقوق والواجبات في حياة الناس؟ شريعة الله العدل الحكيم، العليم الخبير، أم شريعة الإنسان الظالم لنفسه، الذي لا علم ولا حكمة له من ذاته؟! القرآن الكريم وسنة المعصومين عليهم السلام، أم اتفاقية سيداو، وقرارات الأمم المتحدة، ووثيقة حقوق الإنسان بما فيها من علم وجهل، وحق وباطل، وصلاح وفساد؟! أين العلم والحكمة المطلقة والرأفة المطلقة، والعدل المطلق؟ عند الخالق أو المخلوق؟ عند الكامل المطلق أو الناقص المحدود؟!

الناس الذين يعيثون في الأرض فساداً، ولا يكفّون يوماً عن ظلم أنفسهم والآخرين، وعن البغي في الأرض، ولا يقيمون لحقّ الله وحق خلقه وزناً هم الذين يؤخذ منهم التشريع، ويرجع إليهم في معرفة العدل؟! بئس به من عدل مصدره الظالمون، ومن حقّ يحدده الباغون، ومن خُلُق يراه الهابطون!

وليس العدل كما يراه كثير من البسطاء بأن تساوي بين المتباينين، وتضع

---

١. *بحار الأنوار*: ١٠٠/٢٢٨.

الأخضر مكان الأبيض، والأبيض مكان الأخضر، أو تباين بين المتساوين، إن العدل تساوٍ في الحكم حيث يتساوى الموضوعان، وتباين فيه بمقدار ما بين الموضوعين من تباين، وقد تتحد بعض جهات الموضوعات المتعددة، وتتفاوت منها جهات أخرى.

فالإنسان واحد بكل أصنافه من حيث إنسانيته، وعلى ذلك تجمعه أحكام واحدة من جهة هذا الاشتراك، وتتفاوت بعض أحكامه من جهة الاختلاف. في إطار الرجل وحده يمكن أن تتفاوت الأحكام، وكذلك على مستوى المرأة وحدها، على مستواهما معاً، وذلك من حيث ما بين الأصناف من افتراق. فالغني له تكليفه المناسب لغناه، ذكراً كان هذا الغني أو أنثى، والفقير له تكليفه الذي يلائمه من جهة ما هو عليه من فقر، والقوي له تكليف، وللضعيف تكليف آخر، ولخصوصية الذكورية دخل في بعض التكاليف، ولخصوصية الأنوثة دخل كذلك، ومن أنكر ذلك فهو يرمي بالعقل والمنطق وموازين الحق والعدل جانباً.

وأين الإنسان من القدرة على التشريع العادل؟! العدل له مقوّمات، ومن مقوّماته:

١. علم لا يحده ولا يشوبه جهل ولا غفلة.

٢. عدم الحاجة للظلم على الإطلاق، المشرّع العادل يشترط فيه أن يخلو من الحاجة للظلم على الإطلاق، وإلا ارتقب منه أن يظلم في تشريعه.

٣. انتفاء كامل للخوف من العدل. ربما اتّجهت نفس لأن تقيم العدل، ولكن يردها عن ذلك أنها تخاف، فيشترط في ضمان أن يكون المشرّع عادلاً أن ينتفي الخوف من العدل عنده على الاطلاق.

٤. تنزه شامل عن الهوى.

٥. قدرة لا يردها رادّ.

وهل لغير الله سبحانه كلّ ذلك؟! وهل من شيء من ذلك إلا وهو لله العظيم؟! [1]

تاسعاً: «إنّ المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكلفها وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة، وسعة بتقدير، وغيرة بتحصن»[2] عن الصادق عليه السلام.

إذا كان ليس من طبعه هذه الخصال فعليه أن يتحامل على نفسه، وعليه أن يروّضها ويقودها على خط التقوى، ويكلفها ما لا تحتمل من الحق حتى تحتمل، ومن الخلق الحسن ما لا تحتمل حتى تحتمل.

معاشرةٌ جملية، وسعةٌ بتقدير، وغيرة بتحصن، أن تكون معاشرته لزوجه معاشرة جميلة لائقةً خلقيةً رفيعة تغنى بالإحسان، وروح التجاوز والتسامح والتغاضي، وسعة بتقدير أن يبذل، أن ينفق من غير أن يصل إلى حد السرف ومن غير أن ينقاد لشهوات امرأة لا تعرف التقدير، إذا كانت هذه المرأة لا تعرف التقدير فلا يصح للرجل أن ينساق وراء شهواتها ولا شهوات نفسه، لا بد من سعةٍ في الإنفاق ولكن مع التقدير، وغيرة بتحصن: على الأب والأخ والزوج أن يعيش الغيرة على أهله، وأول هذه الغيرة أن يعمل على تحصين الأهل، أن يوجد الأجواء التي تساعد على الحصانة، أن لا يفتح طرق الشيطان أمام المرأة، أمام الأخت، أمام البنت، ثم تثور غيرته ليحطم هذه المرأة التي فتح لها باب الانزلاق، فلا بد من غيرة بتحصن وغيرةٍ لا تهتك الطرف الآخر، ولا تشوّه سمعته، ولا تثير من الناس ظنون السوء ببنته وبزوجه وبأخته[3].

عاشرا: ﴿...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾[4]:

ومنطلقات المعروف: العقل، الضمير، الفطرة، الشرع، كلّ هذه منطلقات

---

١. خطبة الجمعة (٣٧٦) ١٧ رجب ١٤٣٠هـ - ١٠ يوليو ٢٠٠٩م.

٢. *تحف العقول*، ابن شعبة الحراني: ٣٢٢.

٣. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ - ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١م.

٤. النساء: ١٩.

للمعروف فما كان من المعاملة خارجاً عن ما يقتضيه العقل، عن ما يرضاه الضمير، عن ما تؤدي إليه الفطرة فهو ليس من المعاشرة بالمعروف.

ومن الفطرة في هذا المجال أن المرأة أخت الرجل في إنسانيتهما فأن يهدر رجل إنسانية زوجه هي معاملة بغير المعروف من منطلق الفطرة، ومن منطلق معروف المجتمع الإسلامي، ومن منطلق الشرع الذي يحكم سلوكيات وذوق هذا المجتمع[1].

إحدى عشر: حق كلٍّ منهما على الآخر

«لو أمرت أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[2].

وهو مبالغة لطاعة الزوج ـ الأنثى ـ لزوجها في حدود طاعة الله[3].

«وأما حق الزوجة فأن تعلم أن الله جعلها لك سكناً وأنساً فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب فإن لها عليك أن ترحمها»[4] عن زين العابدين عليه السلام.

هنا تجاوز عن حد العدل إلى حد الإكرام والتقدير والاحترام والمعاملة بالإحسان، وقد تخطئ المرأة فيكون التوجيه الإسلامي هنا للرجل بالرفق والرحمة، من غير أن يطمع ذلك المرأة في التمادي في الغي، لأن التهديد للمرأة بمخالفة زوجها وغضبه هو غضب الله عليها[5].

جزاء من آذى منهما الآخر:

«ويلٌ لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها»[6].

---

١. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ ـ ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١م.

٢. *الكافي*: ٥/٥٠٨.

٣. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ ـ ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١م.

٤. *أمالي الصدوق*: ٤٥٣.

٥. المصدر نفسه.

٦. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام: ١/١٤.

وكل ذلك في دائرة المباح والحلال، ولا رضا لمخلوق في سخط الخالق، ولا طاعة لمخلوق في سخط الخالق.

١. «ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمُّه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله».

والنص الحاكم على هذا النص موجود وهو أن يكون ذلك في حدود طاعة الله[١].

٢. «ألا وإنّ الله ورسوله بريئان ممن أضرّ بامرأة حتى تختلع منه»[٢].

يؤذيها ويقسو عليها، من أجل أن يلجئها إلى طلب الطلاق فتبذل له[٣].

استغلال بشع حرام:

جنون المادة وشرهها، خلق حالة من الاستغلال البشع من قبل بعض الأزواج لأزواجهن من النساء، الرجل يدفع ببنته للعمل أياً كان، ولأي شيء أدّى، والزوج يطلب الزوجة التي يعلّق عليها أمل أن تغنيه بوظيفتها. من الأوزاج من يستحوذ على مرتب زوجته، أو أنه يأكل أكثره، وما تدخره يوظّفه في بناء بيت يكتبه باسمه. تتحول هذه المرأة إلى خادمة رخيصةٍ في بيت زوجها، يشتريها بقرةً حلوباً له، يحاول ان يستثمر كدها وجهدها كله. معاملة قاسية منحطة خلقياً، بعيدة عن قيم الدين وموازينه وموافقته، وقد ينسى هذا الرجل يوماً يأتيه، يقف فيه بين يدي ربه ليحاسب على كلّ صغيرة وكبيرة، وحين تكون زوجه يوم ذاك أحوج ما تحتاج إلى الحسنة الواحدة. إنها ستجد فيه غنيمة لتطالب بحقها، ويتجرد هذا الرجل من كلّ حسناته لجيب زوجه، فيكون ما قد ربح في الدنيا وبالاً عليه في الآخرة، ألا فلنتق الله.

---

١. *بحار الأنوار*، المجلسي: ٣٥٤/٧٣.

٢. *ثواب الأعمال*، الصدوق: ٢٨٧.

٣. خطبة الجمعة (٣٩) ١٣ شوال ١٤٢٢هـ - ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١م.

شتّان بين تربية الإسلام وتربية الحضارة الماديّة:

أريد أن ألفت إلى نقطة هي فارق التربية الإسلامية، عن التربية الحضارية المادية، تجدون أنّ التربية الحضارية المادية تستغل دافع الجنس استغلالاً بشعاً وتوظفه من أجل الاستعباد والاستغلال واستثمار الشعوب وتجهيلها وبسط السيطرة عليها، واستنزاف ثرواتها، هذا الدافع نفسه يأتي بيد التربية الإسلامية رحمة وأداة إصلاح، وأداة مودة ورحمة، هذا فارق كبيرٌ بين التربيتين والكلام عن عمق هذا الفارق يحتاج إلى وقت[1].

---

١. المصدر نفسه.

الفصل الثاني
الأسرة

مقدمة

لا بدَّ للإنسان من مجتمع، ومادّة المجتمع الأفراد، واللَّبِنَةُ الأولى في بنائه الأسرة، ومنها منطلقه، ومن طبيعة الأسرة تكون طبيعتُه، ومن مستواها وتوجهها يأتي مستواه وتوجُّهُه. وهي التي تُغذّي مختلف مؤسساته، وتفرض عليها ما تفرضه من عطاءات ونتائج تربيتها، وما عليه واقع العلاقات في داخلها من حسن وقبح، وخير وشر، وصلاح وفساد، وأمانة وخيانة، ومحبّة وبغضاء، وهدى نفس وضلالها، واضطرابها، وتجاذب وتنافر، وصدق وكذب، وجدّية وخمول، وتعاون أو تقاطع[1].

عباد الله أقيموا حياتكم على شرع الله، وصوغوا مواقفكم وعلاقاتكم في ضوء منهجه القويم وأحكامه المنقذة من ويلات الدّنيا وكوارث الآخرة. وابنوا مجتمعكم على قواعد الدين وأسس الشريعة، فإنها قواعد لا تميد، وأسسٌ لا تتآكل. وقد بنى الإسلام مجتمعه على الأرض أيام قيادته الرشيدة، وكان مجتمع الإيمان والعلم والقوة والسمو والنشاط والرحمة والعدل والإحسان والمحبة والمودة والفداء والتضحية والنمو والتقدم والتسامح والإيثار.

---

1. خطبة الجمعة (٥٢١) ٤ ذو القعدة ١٤٣٣هـ - ٢١ سبتمبر ٢٠١٢م.

ومن بين مؤسسات مجتمع الإيمان والكرامة والفضيلة مؤسسة الأسرة التي أحكم الإسلام بناءها، ورفع من مستوى وظيفتها، وهذّب علاقاتها، وجعلها منطلق المجتمع المتحاب المتماسك النشط الهادف، القائم في علاقاته على العدل والإحسان، والمحبة والمودة في إطار من منظومة القيم الإسلامية الرفيعة وأحكامه المحكمة العادلة، وتربيته الرشيدة القويمة.

فسنة الزواج التي تبتني على أساسها الأسرة أكدّها الإسلام واتخذ منها وسيلة لإنشاء كيان اجتماعي متين قوي رشيد هادف صنّاع، تسمح له قلة أعضائه وشدة علائقه في ضوء التوجيه الحكيم، والتربية الراقية، والتشريعات الإلهية المحكمة العادلة أن يكون القاعدة الصلبة، والأساس المكين لمجتمع كبير عملاق تحكمه علاقات المحبة والمودة والتعاون في الخير، ويتحمل أعباء الدور الخلافي الناجح في الأرض[1].

أقسام الأسرة

كلما أوجدتَ أسرة صالحة أوجدت بداية ولو متواضعة لمجتمع صالح، وكلما صلح المجتمع ساعد ذلك على وجود الأسرة الصالحة. والعكس صحيح في كلٍّ من الحالتين.

أ) وتنقسم الأسرة إلى أسرتين

١. أسرة قرآنية منشأ وتخطيطاً، ونبوية وعلوية وحسنية وحسينية تفعيلاً وتطبيقاً.

٢. وأخرى جاهلية منشأ وتخطيطاً، وعلى مستوى العالم الجاهلي شرقاً وغرباً وفي كلّ مكان تطبيقاً.

---

١. خطبة الجمعة (١٣) ٧ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ ـ ٢٩ يونيو ٢٠٠١م.

الأسرة الجاهلية قد يكون تواجدها في البلد الإسلامي فضلاً عن البلاد الأخرى ذلك لأن للبلاد الإسلامية ـ وخاصة في هذا العصر ـ نصيباً كبيراً من جاهلية القرن العشرين والواحد والعشرين.

ب) الخلفيَّة لهاتين الأسرتين

رؤيتان كونيتان مختلفتان:

١. رؤية إلهية، ورؤية جاهلية مادية.

٢. تصور إنساني للإنسان، وللحياة، وتصور حيواني.

٣. قيم سماوية رفيعة، قيم أرضية هابطة وضيعة.

٤. هدف روحي، هدف مادي.

ولا يعني الهدف الروحي إهمال المادة، والعبث بحياة البدن، وإغفال حاجاته. يعني الهدف الروحي أن توظف الحياة الدنيا بكل متعها وفرصها وصحتها وقوتها وأمنها في سبيل نمو الروح، ورقيها وسعادتها.

والهدف المادي يعني بيع الروح، والضمير، والشرف والكرامة والدين وكل المقدسات من أجل الطين، من أجل لذائذ المادة.

٥. منهج إلهي كريم حكيم كامل، منهج أرضي سفيه منحدر ناقص.

ج) واقع الأسرتين

١. أجواء مودة ورحمة في الأسرة الأولى، الأسرة القرآنية، أجواء جفاف روحي وإنساني. وإن كانت أجواء مليئة بالضحكات، ومليئة بالمجاملات في الأسرة الأخرى.

٢. أجواء عدل وإحسان، أجواء ظلم وعدوان. وقد تعترض أن أسراً إسلامية يسودها من الظلم والعدوان ما لايسود أسراً كافرة، أقول لك: إن هذه الأسرة تعيش في بلاد الإسلام ولكنها لاتعيش روح الإسلام، ولاتربيته ولا

هدفه ولا أدبه. وقد يتخلق كافر بخلق من خلق الإسلام، وقد يتخلف مسلم عن هذا الخلق.

أما المسلم الحق الذي يعيش الإسلام رؤية وهدفاً وسلوكاً فإنك لن تجد غباراً على سلوكه.

٣. أجواء تعاون وتضحية وإيثار، أجواء أثرة واستغلال.

٤. أجواء ستر وحفظ أسرار، فضح وكشف عورات.

٥. تبادل ثقة وطمأنينة، شك وترصّد ومراقبة.

٦. تغاضي وتسامح، مضايقة وتوريط.

٧. أجواء عبادية وروحانية مشرقة، أجواء لهو وطرب وعربدات.

٨ احترام متبادل وكلمات عفيفة رفيعة، سوء أدب وكلمات بذيئة.

وقد تتداخل هذه المتقابلات حسب التأثيرات التربوية المتعاكسة، وقد تجد أوصافاً من هذه الأوصاف الإيجابية في أسر لا تنتسب إلى الإسلام، وقد تجد مساوئ من تلك المساوئ في أسر تسمي نفسها إسلامية ولكنها متخلفة جداً عن الإسلام.

د) على طريق الأسرة المحطَّمة

اتفاقية سيداو ومؤتمرات مناهضة العنف ضد المرأة التي تنطلق من رحم تلك الاتفاقية وليست كلَّ المؤتمرات المضادة لعنف الموجّه للمرأة؛ تلك الاتفاقية والمؤتمرات المنطلقة من رحمها، السائرة على طريق هدفها.

١. تحمل محاربة القيم الإلهية التي تحفظ كيان الأسرة وإنسانيتها.

٢. وهي تُطلق عملية تحريضية للمرأة ضد الرجل لتخريب الأسرة. وأي رجل؟ الرجل الزوج، والرجل الأخ، والرجل الوالد.

٣. وهي في كثير من مقرراتها تمثل مواجهة صريحة لشريعة الله في

أحكامها المتعلقة بالأسرة وتأخذ بالافتراءات والتحريف الصارخ لعدد من تلك الأحكام.

والذي يراجع اتفاقية سيداو وحتى المؤتمر المنعقد في البحرين في مواجهة العنف ضد المرأة سيجد كثيراً من المخالفات المتعمّدة، وكثيراً من التقوّلات والافتراءات على الشريعة الإسلامية، فمرة تجد مواجهة صريحة، ومرة تجد التفافاً على الحكم الشرعي وتمويها له.

٤. في تلك الاتفاقية وتلك المؤتمرات استغلال للمرأة استغلالاً سيئاً لأغراض سياسية جائرة وأخرى حضارية معادية.

وإنه لفي الأسرة الجاهلية يسود ظلم المرأة وظلم الرجل. وفي واقع أسرنا هناك ظلم للمرأة وهناك ظلم للرجل. وأي جاهلية لاتُعفي أحدا من الظلم.

وأريد أن أنبّه أن المساجد والحسينيات إنما كانت لذكر الله، وهناك عزم عند بعض الجهات العلمانية أن تتخذ من المساجد والحسينيات مسرحاً للدعوة لمقررات اتفاقية سيداو والمؤتمرات المضادة للإسلام، وأن تجعل من هذه المساجد والحسينيات ملتقى بالمؤمنات من أجل الدعاية للفكر المعادي للإسلام، ومن أجل تخريب الأسرة وتغريبها عن طريق المؤسسات والجمعيات العلمانية.

هـ) ماذا نقول

١. لا لظلم المرأة، ولا لتجهيلها، ولتسقيطها، ولابتزازها. لا لظلم المرأة ولا لظلم الرجل. وأعجب ممن يحملون شعار الدفاع عن حقوق المرأة من الجمعيات المعاشة كيف لايدافعون عن حقوق المواطن؟ كيف لايدافعون عن حقوق ابن المرأة؟ وأخ المرأة، وزوج المرأة وأب المرأة الذي يعاني من البطالة، والذي يعاني من التفرقة الطائفية، والذي يعاني من ناحية أمنية.

أين هم، أين صوتهم من حقوق الإنسان الكثيرة سواءً كان رجلاً أو امرأة؟

٢. لا لتفكيك الأسرة وزعزعة استقرارها. ولا استقرار يمكن أن يقوم على الظلم. فلا للظلم مطلقاً.

٣. لا لتعرية المرأة.

٤. لا لتغريب المرأة.

٥. ولا لاستغلال ظلم المرأة في تحريضها ضد الإسلام العادل أو تحريفه.

٦. لا لاستغلال المرأة استغلالاً سياسيّاً من مؤسسات رسمية وشبه رسمية وحزبية مشبوهة.

٧. نعم لتثقيف الأسرة بالثقافة الإسلامية النقية.

٨. نعم لنشر روح المودة والمحبة والاحترام بين أفراد الأسرة.

٩. نعم للعمل على رعاية الحقوق في المجتمع والأسرة.

١٠. نعم لنهضة شاملة في حياة المرأة على هدى الإسلام وفي ضوء تعاليمه[١].

الأسرة في الرؤية القرآنية

١. بيت مودة ورحمة

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

الأزواج من الأنفس المرأة من جنس الرجل والرجل من جنس المرأة ووحدة الجنس تدعو إلى التآلف وتدعو إلى التفاهم وتدعو إلى العلاقة القائمة على المحبة والمودة والسلام هذا في أصل ما تقتضيه وحدة الجنس إلا أن يستبد الشيطان بفئة من البشر فيعدل بهم عن الطريق.

---

١. خطبة الجمعة (١٨٩) ٢٣ محرم ١٤٢٦هـ ـ ٤ مارس ٢٠٠٥م.

٢. الروم: ٢١.

ثـم هـذه الأزواج لهـا هـدف أن تعطـي الـسكينة والطمأنينـة، والـسكينة والطمأنينة قاعدة البناء، قاعدة التفرغ لبناء النفس، بناء الروح، بناء العقـل، بنـاء الأسرة، بناء الحياة. حياة الفزع والقلـق والاضـطراب لا تمثـل أرضـية بنـاء ولا أرضية إنتاج. نعم تمثل ألواناً مـن الإبتكـار لوسـائل الـشر والـدمار، أمـا البنـاء الهادف الصالح فإنما يتم من خلال تنافس شريف يقوم علـى أرضـية التفـاهم والإلتقاء في الهدف والإيمان بالحق والخير والفضيلة والجمال.

﴿...وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً...﴾ إنـه مـن لطـف الله أن خـص هـذه الخليـة الاجتماعية الأولى التي تعني أساس المجتمع، بميزة المودة والمحبة والرحمة، فالرجل يعقد على المرأة الأجنبية عنه نسباً وبلداً، وعنصراً وقوماً، فلا يتم العقد إلا ويأتلف القلبان وتتحد الروحـان وكأنهمـا جـسد واحـد هـذه الألفـة التـي يحتاج بناؤها إلى مدة طويلة بين صديقين حميمين، وبين زميلـين فـي عمـل، تمر على علاقتهما سنوات، ما هي إلا مدة بسيطة وربمـا لحظـات وإذا بالقلـب يرتبط بالقلب، وتنشد النفس إلـى الـنفس، ويـشعر كـلٌ منهمـا أن كيانـه صـار ممتداً، امتداداً لا يفرق وإنما يؤول إلى الائتلاف والالتقاء. هذا صنع من الله لا نعرف سره وكيف يكون إلا أننا نعرف أن من حكمته أن هذه الخليـة الأولـى تحتاج إلى رعاية إلهية فوق العادة من أجل أن تنبنـي بنـاءاً مرصوصـاً، وتقـوم بناءً مشيداً لا تتهدده الخلافات الصغيرة لتهدمه بسرعة.

﴿...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ومما ينبغـي أن نهتـدي بـه مـن آيـات هذه الرابطة التكوينية التي تتحصل بمجرد عقدٍ إنشائي بـين الـزوج والزوجـة، أن رعاية الله وحكمته وتدبيره في كلّ صـغيرة وكبيـرة وأن صـنع الله محكـم ويتلاقى عنده التشريع مع التكوين والعناية القائمة على الفعل منه، هذه الأسرة وهذا البناء يقوم في إطار ميثاق غليظ[1].

---

١. خطبة الجمعة (١٣) ٧ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ ـ ٢٩ يونيو ٢٠٠١م.

وكما هو الجعل التكويني لعلاقة الزوجية قائمة على المودة والرحمة، فكذلك الجعل التشريعي قد استهدف وجود وتركّز هذه المودة والرحمة على خلاف ما تشيعه التربية الغربية الآن في الأوساط الإسلامية من بثّ روح العداوة والشراسة داخل الأسرة الواحدة[1].

٢. ميثاق غليظ كريم

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[2].

لا يمكن أن يمتن ميثاق، وأن يقوى عهد ما لم يخضع لرقابة الله ويكون تحت رضاه ويحاسب عليه يجزي على الوفاء به ويعاقب على نقضه، العهد والميثاق الذي ينعقد بين اثنين لتنتقل العلاقة من بين الاثنين إلى علاقة مباشرة مع الله وإلى بيعة مع الله وإلى عهد وميثاق مع الله، العهد الذي لا يكون كذلك هو عقد هش، هو عهد مهلهل.

لا يمتن العقد ولا يقوى نسيجه ولا تنحكم علاقته إلا بأن يكون راجعاً إلى العهد مع الله عائداً إلى البيعة معه؛ وعندئذ تأتي الخشية ويأتي الخوف ويأتي الترقب ويأتي الاحترام ويأتي التوقير عند قلب يعيش ونفس يقظه، وهو ميثاق كريم.

كل العلاقات الجنسية التي تكون برعاية الشيطان ومن وحي الشيطان وليس للشيطان رعاية، كلّ العلاقات الجنسية التي تكون بوحي الشيطان ووسوسته هي رجز ونجس وبهيمية وحيوانية ساقطة وطينية ثقيلة. أما علاقة الجنس حين تتم في ضوء شرع الله وفي ظل رعايته وتوجيهه وأحكامه فهي علاقة شفافة وعلاقة نزيهة وعلاقة رفيعة تنطلق من دفعة

---

١. خطبة الجمعة (١٨٩) ٢٣ محرم ١٤٢٦هـ ـ ٤ مارس ٢٠٠٥م

٢. النساء: ٢١.

الجسد ومن اندفاعة الجسد إلى أن تكون التلاحم العقلي والروحي وائتلاف المشاعر الطاهرة الطيبة.

٣. الأسرة هي البناء الهادف

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1].

السافل تقر عينه بما هو دون وبما هو ساقط، أما النفس الطاهرة، أما الروح الشفافة، أما الشعور الوضيء، أما العقل المستقيم فصاحب كلّ ذلك إنما تقر عينه بما هو رفعة وبما هو كرامة وبما هو سمو وبما هو صالح.

مَن هؤلاء الذين يدعون الله أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم قرة أعين؟

هم عباد الرحمن؛ الذين انصرفوا بهمتهم إليه، وانطلقت إرادتهم على خط إرادته، وانصاغوا شخصية في ضوء رضاه، وجاءوا مثلاً ـ وإن كان محدوداً بعدالته ـ ولشيء من علمه ولشيء من رحمته ولشيء من لطفه، هؤلاء الكبار عمالقة الروح، عمالقة العقل، أصحاب الأرواح العالية، أصحاب الهمم السامية، المثال الحي للإنسان؛ هؤلاء يطلبون في علاقاتهم مع أزواجهم أن يجدوا في أزواجهم قرة عين.

وقد يكون صاحب الدعاء رجلاً وقد تكون امرأة، المرأة المؤمنة الفذة السامية تطلب أن ترى في زوجها قرة عين تريد فيه الداعية الكبير، تريد فيه الرجولة الكريمة، تريد فيه الكلمة السامية، تريد فيه الروح الطاهرة، تريد فيه العقل المضحي، تريد العقل الذكي والزكي والوقاد، وتريد فيه الشخص المضحي، وصاحب الإيثار.

والرجل المؤمن أخو المؤمنة ولا إخوة كأخوة الإيمان، إنما يطلب زوجة

---

١. الفرقان: ٧٤.

من هذا المثال، فالعلاقة الزوجية عند المرأة المؤمنة علاقة من أجل خلية إيمانية، بيت يشع بنور السماء، يعيش ذكرى الله، ينطلق منه نور إلهي إلى آماد وآماد[١].

مثال البيت الإلهي

خذوا بيت علي وإشعاعه الأبدي، خذوا قبله بيت الرسول ﷺ وإشعاعه الخالد، المؤمن والمؤمنة يطلبان بيتاً مشعاً بنور الله منارة هاديةً في الأرض يضرب مثلاً للعدل للمساواة لما فوق ذلك من الإحسان والإيثار[٢].

ذكرى زواج أمير المؤمنين عليه السلام بالصديقة فاطمة بنت رسول الله ﷺ الزواج الذي انطلق من القيم الإلهية الحقة، وقام على التقوى، وتشبع بروح الإيمان والوعي والهادفية، وعاش أرفع مستوىً للعلاقات الإنسانية الكريمة في محيط الأسرة، وخطط لأروع خلق في حياة المجتمع الإنساني، وأنجب للبشرية قادتها الإلهيين الكبار، وصناع تاريخها المجيد، وإدلاءها على الحق، وسفن نجاتها من الغرق[٣].

---

١. خطبة الجمعة (١٣) ٧ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ ـ ٢٩ يونيو ٢٠٠١م.
٢. خطبة الجمعة (١٣) ٧ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ ـ ٢٩ ـ ٦ ـ ٢٠٠١م.
٣. خطبة الجمعة (٣٧) ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ ـ ١٤ ـ ١٢ ـ ٢٠٠١ م.

العشرة بين الزوجين

أهمية العشرة الزوجية

لهذه العِشرة شأن كبير في الإسلام، واهتمام بالغ وذلك لآثارها العظيمة في تربية الإنسان، وحياة المجتمعات البشرية، وقد عمل الدين القويم ومنهجه الرباني الكريم على إنجاح هذه العِشرة منذ لحظة التفكير الأولى عند الرجل في اختيار الزوجة، ولحظة التفكير الأولى عند المرأة في الموافقة على الزواج كما هو الواضح لمن تتبع هذا الأمر على ضوء النصوص.

وأقلّ ما أُخذ في هذه العِشرة أن تكون كغيرها قائمة على العدل، والعدل لا يفارق أحكام الله في أي مورد من الموارد أدركه التفكير البشري أو لم يدركه، وقد أُخذ فيها أن تكون بالمعروف؛ والمعروف أقلّه العدل، ومنه الإحسان. يقول الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾[1] والزوجة داخلة في هذا الأمر كما هو الرجل إذ لا إذن في الدّين في منكر، وذكر الرجل بخصوصه في الآية الكريمة نجد فيه تأكيداً عليه لجانب قوّته في هذه العلاقة في الغالب، وكونه قيّماً فيها فيحتاج إلى مثل هذا التأكيد بلحاظ موقعيّته.

---

١. النساء: ١٩.

والمطلوب الأصل للشريعة المقدّسة أن تسود العلاقةَ الزوجيةَ أجواءُ المودّة والمحبة والإحسان والإخلاص للآخر والحفاظ على كرامته، والتضحية من أجل راحته[١].

نظرة لما ينبغي في العِشرة من عمومات الآيات والروايات:

ولنطالع موضوع العشرة الزوجية في ضوء عموم الكتاب الكريم والحديث الشريف وخصوصهما بصورة مختصرة:

أ) من عموم الكتاب الكريم

﴿...وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...﴾[٢] وهذه الزوجة من الناس، ومن أقرب الناس، فالقول الحسن، والقول المريح، وتناول قضايا الاختلاف بالحوار الهادئ إذا كان مطلوباً مع الآخرين، فكيف بهذه الزوجة! الزوجة هنا داخلة تحت العموم وهي من أجلى مصاديق هذا العموم، لا من جهة العنوان نفسه وهو الناس فإنها على حدّ سواء في المصداقية من هذه الجهة، ولكن لما لهذا الإنسان من علاقة قويّة بالإنسان الآخر.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

مأمورون بالعدل مع كلّ الناس؛ مع الصديق والعدو، ومأمورون بالإحسان، ونتعامل مع الزوجة بالظلم والإهانة؟! أو تتعامل الزوجة مع زوجها بالظلم والإهانة؟! هذا العموم ينطبق على الزوج والزوجة ويجب أن يحكمَ علاقات الأزواج المؤمنين والمؤمنات فيما بينهم جميعاً.

---

١. خطبة الجمعة (٣٧٤) ٣ رجب ١٤٣٠هـ - ٢٦ يونيو ٢٠٠٩م

٢. البقرة: ٨٣

٣. النحل: ٩٠.

ويُلحق بالعموم قوله سبحانه ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ...﴾[1].

فالزوجة لها الأولوية على الجار الجنب، والصاحب بالجنب. والحديث عن الواجبات الأخلاقية للزوج، والواجبات الشرعية في كثير منها كذلك إنما يعنى به الزوج والزوجة معاً.

﴿...وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ...﴾[2].

العدو لا يجوز لنا أن نتعدّى في معاملتنا معه حدّ العدل، فكيف بالزوج والزوجة؟! والعدل أن نلتزم حدود الله التي تنظِّم هذه العلاقة وأي علاقة أخرى.

ب) ومن خصوص الكتاب: أي الآيات التي وردت في العلاقة الزوجية بخصوصها

﴿...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾[3].

﴿...فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ...﴾[4].

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...﴾[5].

سبق أن المعروف يشمل العدل ويشمل الإحسان، وإذا كان هناك حرص عند الزوج على آخرته، فيجب أن ينبسط ويمتدّ هذا الحرص على آخرة زوجته وأولاده، فليست العلاقة علاقة لقمة وكسوة، وعلاقة جسدين فقط، وإنما كما مرّ في الحديث السابق هي مع ذلك علاقة عقلين وقلبين وروحين يظلّلهما الإيمان.

---

١. النساء: ٣٦.

٢. المائدة: ٨.

٣. النساء: ١٩.

٤. الطلاق: ٢.

٥. طه: ١٣٢.

فيجب أن تغنى نفس الزوج، وتغنى نفس الزوجة بالحرص على سعادة كلٍّ منهما في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة.

ج) ومن عموم الحديث

عن الإمام علي عليه السلام: «خالطوا النّاس مخالطة إن متّم معها بكوا عليكم، وإن عِشتم (غِبتم) حنّوا إليكم»[١].

والمخالطة الزوجية مخالطة طويلة المدى، ومكثّفة، ومركّزة، والمخالطات المركّزة يكون التعرض فيها للخلل أكثر، وللتقصير أكبر، وكلّما استقام أمر هذه العلاقة على طريق الله كلما عمرت بالخير وازداد صلاحها، وكلما دخلها الخلل وابتعدت عن الدين والخُلق كلما أعطبها الفساد، وأصابها التدهور، ويمتدّ أثرها صلاحاً وفساداً إلى الولد والمحيط الاجتماعي الضيّق ثم الواسع.

أي مخالطة هي التي أن الشخص إذا مات بكى عليه الناس؟! إنّما هي مخالطة برّ وإحسان وتسامح من شخص لا يصلهم منه سوء، ويلمسون الخير لهم في حياته. وإذا كانت هذه العشرة هي عشرتك مع الناس في الإسلام، فكيف يجب أن تكون عشرتك مع الزوجة، وكيف يجب أن تكون عشرة الزوجة مع الزوج؟!

العشرة المطلوبة مع النّاس عشرة تترك هذا الأثر على القريب والبعيد؛ أثر أن يبكي الناس لفراق هذا الشخص، لظهور إحسانه، ولتألّق خلقه، ولمعرفة الإخلاص منه.

فهل من بعد هذا يصح لنا أن تخالط الزوجة زوجها، أو يخالط الزوج زوجته بحيث يفرح أحدهما لرحيل الآخر؟! ويرى أن خلاصه في رحيل الطرف الآخر؟! وقد يحصل هذا بين زوج وزوجة.

---

١. *نهج البلاغة*: ٤، باب الحكم.

«وإن عِشتم (غِبتم) حنّوا إليكم» فليس البكاء للفراق من ناحية عاطفية، وإنما لتقدير وزن الخلق، ووزن الضمير، ووزن الدين، ووزن الشخصية. هو تقدير للمواقف، للمحبّة، للمودّة، للحنان، للشفقة ممن كان منه الرحيل. ولذلك فإنه إذا عاش لم يُملّ، ولم يُستثقل، وإنما نجد في عيشه حنيناً من الطرف الآخر إليه، وهو حنينٌ إلى روحية طاهرة، وإلى نفسية نزيهة، وإلى سلوك راق.

عن الإمام الباقرﷺ: «صلاح شأن النّاس التّعايش والتعاشر ملء مكيال: ثلثاه فِطن، وثلث تغافل»[1].

ينبغي لك أن تتعامل مع النّاس بفطنة وذكاء ولا تستغفل، وأن تعرف ماذا يراد بك، وماذا يراد منك، وأن هذا صديق أو عدو. قد تكون الكلمات معسولة، ولكن النية معلولة، والقصد سيء، وقد تكون الكلمة قاسية ولكن وراءها قلباً مشفقاً. يجب أن تعرف ماذا يريد بك الناس، وإلى أين يريدون أن يسلكوا بك، وفي حين تفطنهم، وتدريهم، وتعرف ماذا يحاولون بك؟ حاول ما اقتضت المصلحة ذلك ورعت الحكمة أن تظهر كأنك لم تسمع، ولم تفهم، لا مكايدة، وإنما لإصلاح العلاقات، وللترفّع عن الدنايا، وحفاظاً على النسيج الاجتماعي الإيماني وسلامته «وثلث تغافل».

هذا مع الناس يا إخوان، فكيف لا يكون تغافل عن خطأ زوجة، أو عن خطأ زوج؟! وكيف لا يكون تسامح عن هفوة زوجة أو هفوة زوج؟! وكيف لا يكون حرصٌ وذكاء ومحاولة في إبقاء الأجواء هادئة؟! والمياه في مجاريها؟! والعلاقة حسنة بتغافل عن كلمة ربما خرجت من غير قصد؟!

عن الإمامﷺ: «ابذُل لصديقك نصحَك، ولمعارفك معونتَك، ولكافّة النّاس بِشرك»[2].

---

١. *بحار الأنوار*: ١٦٧/٧١.

٢. *ميزان الحكمة*: ١٩٧٩/٣.

الزوجة ما موقعها؟

هي مع الزوجية صديق، وهي من المعارف، ومن أهل الجوار القريب، ثم [أ]ليست من كافّة الناس على الأقل؟! ولو كانت كذلك فحسب، فأنت مسؤول عن إظهار البشر لها، وهي مسؤولة عن إظهار البشر لك. وإذا بذلنا للصديق النصح، فكيف لا يَنصح الزوج لزوجته، ولا تنصح الزوجة لزوجها؟! والنصح ليس كلمة فقط، النصح موقف متعاطف، النصح إخلاص، النصح محاولة إنقاذ، النصح معونة، النصح تأييد، النصح دفاع عن العرض، النصح نصرة.

وإذا كانت المعونة للمعارف وهم أقلّ درجة من درجة الأصدقاء فكيف لا تكون للزوج والزوجة[1]؟!

العلاقة المتبادلة بين الآباء والأبناء

إن العلاقات الاجتماعية في الإسلام قد خُطط لها أن تمتد وتتسع، لا أن تضيق وتتقلص، وهذا الامتداد والتوسع في هذه العلاقات ينطلق من رؤية محددة ثابتة للكون والإنسان، وإرادة تشريعية واضحة من ربّ الكون والإنسان والحياة، كما يرتبط بأهداف كبيرة عليا تبلغ ذروتها في مساعدة الإنسان من خلال أجواء الوئام والمحبة والتواصل والتعاون على الخير على تحقيق أكبر درجة من النضج الإنساني، وبلغ أعلى مرتبة من الرقي والكمال الذي تطيقه إنسانية على طريق الله، وفي ضوء هداه وتعاليم دينه.

فالإسلام لا يترك علاقة من علاقات الإنسان بأخيه الإنسان ـ لأي سبب كانت هذه العلاقة من الأسباب الواقعية مما لا يتنافى مع الخلق القويم، والتربية الصالحة، ولا يحط من كرامة الإنسان ولا يهدم إنسانيته، وكانت مما يوظف لصلاحه، وبناء ذاته ـ إلا وعمل على تمتين تلك العلاقة وتقويتها وترشيدها والسمو بها، واتخاذها جسراً لتلك لعلاقات أخرى أوسع أفقاً على

---

١. خطبة الجمعة (٣٧٤) ٣ رجب ١٤٣٠هـ ـ ٢٦ يونيو ٢٠٠٩م

طريق معالجة مشكلات الإنسان، والتقدم بحياته، والرقي بذاته.

فمن التشديد على تركيز وتقدير العلاقة الزوجية، إلى الاهتمام الكبير بعلاقة الأبوة، والأمومة والبنّوة، إلى العناية بالعلاقات الرحمّية عامةً، وعلاقات الجوار والصداقة، وما يقوم من العلاقة على عضوية العشيرة، والسبب القومي، والأصل الإنساني.

أما قاعدة الإيمان فالعلاقة الاجتماعية التي تنطلق منها تمتلك تقدّماً مطلقاً على كثير من العلاقات، وعلى أمتنها وأشدها قرباً كعلاقة الأُبوة والبنوّة في بعض الموارد فقد يقف الأب في جبهة الإيمان محارباً بأمر الله ولده في جبهة الكفر والإلحاد.[1]

دور الآباء تجاه أبنائهم

أمانة الأولاد

الأولادُ ـ البنونَ والبناتُ ـ وخاصّةً في سنّ التربية أمانةً تُطوّق مسؤوليتها عُنُقَ الآباء والأمهات، أمانة نقف أمام العدل الإلهي لِنُسأل عنها، عن حفظها أو التفريط فيها[2].

وأمانة الأولاد من أكبر الأمانات، هذا إلى جنب أنّهم فلذات الأكباد، مما يجعلهم يأخذون من القلب مأخذاً أيَّ مأخذ، وحبهم منغرس في النفس بطبيعتها، فالعاطفة نحو الولد مشبوبة لا تحتاج إلى إيصاء أو دفع وإثارة وتهييج.

لكنّ العاطفة وحدها لا تكفي، وكم من عاطفة أضرّت بدل أن تنفع، وأفسدت بدل أن تُصلِح، وهدمت مكان أن تبنيَ وتشيد.

لا بد من وعي وبصيرة، ودين، وتقدير دقيق للأمور، ومعرفة للأوضاع وملابسات الأحوال والظروف، من أجل حفظ أمانة الولد، والنأي به عن

---

١. خطبة الجمعة (٤٢) ٤ ذو القعدة ١٤٢٢هـ ـ ١٨ يناير ٢٠٠٢م.

٢. خطبة الجمعة (٥٥٩) ٤ شعبان ١٤٣٤ هـ ـ ١٤ يونيو ٢٠١٣م.

المنزلقات، ووضعه على طريق نجاحه وسعادته، وحمايته من ذئاب الآدميين، وأراذل النّاس، وذوي المطامع الخبيثة، والتوجّهات المنحرفة، والأخلاق الساقطة.

ونحن في زمن أصبح فيه الصبيّ والصبية، والشّاب والشّابة سِلعة تجارية، ومقضى حاجاتٍ وشهوات، وبضاعة مطلوبة لكثير من الجبهات المنحرفة، والجهات الساقطة، وأدوات يجنّدها قادة السّوء وأهل الشّر، والمتاجرون بالإنسان لأقبح الأغراض، وأشنع الجرائم، وأسوأ الممارسات[١].

الأولاد روح وبدن

الأولاد بدناً يهمّ أمرُهم الإسلام، ورعايتهم من هذا الجانب مسؤولية مَن؟ مسؤولية الآباء والأمهات. وهل يجوز لأبٍ أو أمّ أن يتركا الولد يتضور جوعاً، وتتردّى صحّته، ويذبل جسداً ولهما قدرة على إنقاذه؟! وهل يجوز لهما أن تمتدَّ يدُ ولدهما إلى السمّ ليتناوله سذاجة وجهلاً أو تهوُّراً وهما يشهدانه ولهما القدرة على كفّه عن فعله فيتركانه وما يُحاول؟!

وهل يحتمل أحدٌنا رضا الإسلام بتقديم جانب البدن والمادة والدّنيا على جانب الرّوح والإنسانيّة والدّين والآخرة أهميّة، والاكتفاء من الوالدين برعاية حاجات الجسد للولد وأن يُهملا جانب عقله وقلبه ودينه وبصيرته واستقامة خُلُقِه وعلمه بالدّين وهداه؟!

ومن يأمن على دين ولده وخُلُقِه واستقامته اليوم إذا تُرِك لنفسه وهو في سنّ التربية، أو أُهمِل للبيئة الثقافية، والاجتماعية والسياسية الموبوءة الفاسدة المفسدة التي تتربّص به، وتُخطِّط لاصطياده؟!

مشاريع التعليم والتربية المستمرةُ والصيفيةُ منها المأمونة الموثوقة حجّة على كلّ الآباء والأمّهات ومَنْ أهمل إلحاق ولده بها فضيّع ولده

---

١. خطبة الجمعة (٤١٤) ١٩ رجب ١٤٣١هـ ـ ٢ يوليو ٢٠١٠م.

خان أمانتَه وتحمّل وزراً ثقيلا بما عصى به ربّه.

لا تطلب ولداً براً بك، صالحاً، نافعاً لمجتمعه، مَرضياً لله سبحانه، يكونُ لك قرة عين وأنت لا تُوليه الاهتمام البالغ من ناحية تربيته وتبصيره وتهذيبه وتزكيته[1].

حقوق الأبناء

الحديث يتناول هذه المرة ـ من علاقات الأسرة النامية ـ العلاقة بالأولاد من بنين وبنات، والمطروح بعض جوانب هذه العلاقة، وإذا تحدثنا في هذه الدائرة فإنما نتحدث عن دائرة من دوائر الاجتماع، وتكوين الإسلام للمجتمع الإسلامي القوي:

١. للأولاد حق

«يلزم الوالدين من عقوق الولد ما يلزم الولد لهما من العقوق»[2] عن الرسول صلى الله عليه وآله، كما إذا عقّ الابن أو البنت الأب كان ذلك وزراً، فكذلك إذا عقّ الوالد ولداً ـ من بنت أو ابنٍ ـ كان ذلك وزراً، فكلٌّ منهما له حق.

«إنّ للولد على الوالد حقاً، وإن للوالد على الولد حقاً...»[3] عن علي أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن الحقوق التي ذكرتها الروايات عنهم عليهم السلام:

أ) اختيار والدة الولد:

وأن تكون هذه الوالدة إناءً طيباً وذاتاً جيدة يمكن أن تولدَ منها ذاتٌ حميدة، امرأة لا ينظر فيها الجمال الظاهري، بقدر ما ينظر منها إلى الجمال الباطني؛ جمال الروح والقلب والعقل والضمير والوجدان.

---

١. خطبة الجمعة (٥٥٩) ٤ شعبان ١٤٣٤ هـ ـ ١٤ يونيو ٢٠١٣م.

٢. *الخصال*، الصدوق: ٥٥، *من لا يحضره الفقيه*: ٤٨٣/٣.

٣. *ميزان الحكمة*: ٣٦٧٨/٤، ط دار الحديث.

ب) الاسم الحسن:

يتابع الإسلام المسألة في دقائقها حتى أن يكون له تركيزٌ على الاسم المختار للولد لما قد يكون للاسم من أثرٍ ما على تكوين شخصية الولد ونفسيته مستقبلاً.

ج) أن يضعه موضعاً حسناً:

بعد أن يلده يضعه موضعاً حسناً، يختار له البيئة المناسبة، الحضن المربي الكفوء، الأجواء التربوية المساعدة على الخير، المدرسة التي تربيه تربية الإيمان والتقوى والعلم والعمل الصالح، المناخات الاجتماعية النظيفة التي تساعده على أن ينمو نمواً زاكياً طيباً طاهراً.

د) تأديبه:

أي تربيته تربيةً حسنة، وليس معنى التأديب هو الضرب، تأديبه بكل أسلوب جيد مؤثر ومنه الضرب المحدد المشروط عند الضرورة... تأديبه: تقويمه، العمل على تحسين خلقه، العمل على صياغته الصياغة التي يرضاها الله، تعليمه القرآن، وتعليم القرآن لا يعني تعليم حروفه فقط، وإنما تعليم القرآن يتناول مفاهيمه،عقائده، رؤيته، أحكامه، تعليمه الكتابة...

هـ) التصابي للولد:

أن تجعل نفسك وأنت في الأربعين أو الستين وكأنك صبيٌ في تعاملك مع طفلك، بشاشةً وخطاباً يفهمه وحركاتٍ مستقيمةً مربية تسرّه وما ماثل ذلك.

ز) حسن معاملته:

لا أن تعامله كالعبد وإنما تعامله معاملة الرجل الذي تتوقع فيه، وتريد له مستقبلاً أن يكون من رجالات الأمة، ومن صفوفها المتقدمة في ميادين الجهاد المختلفة، ولا بد أن تزرع في نفسه الاحترام، وتريه بأنه رجل، وتريه من كرامته الشيء الكثير، من دون أن تصل به حد الغرور والإعجاب بالذات.

عن الرسول ﷺ: «رحم الله من أعان ولده على برّه وهو أن يعفو عنه ويدعو له فيما بينه وبين الله»[١]. عفوك عن ولدك حين يسيء وبموازين منضبطة يساعده على أن يبرك وأن يطيعك، وحين تخلق بينه وبينك فجوة، وتجعل المسافة بينك وبينه هائلة فإنك ستخسره، وقد يخسر ذاته.

وعن أبي عبد الله عليه السلام وهو الإمام الصادق عليه السلام حين سُئل: من أبرّ؟ قال: «والديك»، قال: قد مضيا ـ تُوفيّا ـ، قال: «بُرّ ولدك» وكأن برّ ولدك يقوم مقام برّ والدك.

٢. تربيةٌ شاملةٌ هادفة

«الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين»[٢]، «مروا أولادكم بطلب العلم»[٣].

«أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القرآن»[٤] الرسول ﷺ.

«بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة»[٥] الإمام الصادق عليه السلام.

«علموا أولادكم[٦] من علمنا ـ أي من علم أهل البيت عليهم السلام ـ ما ينفعهم الله به لا تغلب عليهم المرجئة برأيها»[٧] علي عليه السلام.

أهل البيت عليهم السلام وهم أهل بيت العصمة يدركون أهمية صناعة الطفل وأن

---

١. بحار *الأنوار*: ١٠١/٩٨.

٢. *الكافي*، الكليني: ٦/٤٧.

٣. *كنز العمال*: ١٦/٥٨٤.

٤. المصدر نفسه.

٥. *تهذيب الأحكام*، الطوسي: ٨/١١١.

٦. (صبيانكم) بدل أولادكم في المصدر.

٧. *الخصال*، الصدوق: ٦١٤، و*تحف العقول*، الحراني: ١٠٤.

رجولة الإنسان من طفولته، ولن يأتي الطفل رجلاً مستقيماً ما لم يوضع في طفولته على الطريق المستقيم، هذا غالباً. إذا أردته رجلاً قويماً فلا بد أن تقوّمه أيام الطفولة، إذا أردت لابنك الانتماء العقيدي الصحيح وأن يكون من أصحاب الرؤية الإسلامية المركزّة، وأن تحميه من التيارات الفكرية والتيارات السلوكية المنحرفة، فعليك أن تملأ روحه، أن تملأ عقله، أن تملأ نفسيته بالزاد الطاهر النقي الصحيح مبكراً.

ذات الإنسان فكراً، روحاً، نفسيةً لا يمكن أن تبقى فارغة لا بد لها من زاد، وهذا الزاد قد يكون من الزاد المسموم، وقد يكون من الزاد النقي، ولذلك لن ينتظرك حتى العشرين، لتخاطبه بالإسلام، وبالمفهوم الصحيح، وبالرؤية السليمة، لن يصل إلى سن العشرين، إلا وقد تكوّن فكرياً وسلوكياً، ونفسياً على أي درب من الدروب، فهي المسؤولية الكبرى التي تجعلنا نختار لأبنائنا المدرسة،والمسجد، والبيئة، وأن نحول البيت إلى مدرسةٍ خاصةٍ في مثل هذه الأزمان، مدرسةٍ تقدّم لهم دروس العقيدة، ودروس الخلق القويم، ودروس الولاء لله ولرسوله ولأئمة أهل البيت عليهم السلام ولأولياء الله في كلّ يوم.

ما لم نفعل ذلك فأبناؤنا شيوعيون، أبناؤنا علمانيون، أبناؤنا انحلاليون، أبناؤنا أعداء لدين الله، أعداءٌ لمدرسةِ أهل البيت عليهم السلام، وهم الذين سيكون القضاء على الإسلام على أيديهم.

وطفلك اليوم أنت مُغالبٌ عليه في بيتك، ومنذ نعومة أظفاره، مُغالبٌ عليه في المدرسة، مُغالبٌ عليه في البيئة العامة، مُغالبٌ عليه في كلّ مراحل نموه، فلننتبه، فإن المسألة أخطر مما نحن عليه من حساب.

«إنا نأمر صبياننا بالصلاة إذا كانوا بني خمس سنين، فمروا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين، ونحن نأمر صبياننا بالصوم إذا كانوا بني سبع سنين... ومروهم بالصيام إذا كانوا بني تسع سنين»[١] عن أبي عبد الله عليه السلام.

---

١. *الكافي*: ٣/٤٠٩.

المقصود في الرواية، فيما يفهمه عدد من الفقهاء، وفيما يعطيه الفهم العرفي لمثل الروايات أنها تنظر إلى قابلية الطفل، فقد تكون قابليته مرتفعة فيدرب على العبادة في مرحلة أكثر تبكيراً، وقد تكون قابلياته متأخرةً بعض الشيء فيراعى فيه هذا المستوى المتخلف شيئاً ما في القابليات، ولمّا كانت بيئة أهل البيتﷺ هي البيئة الأكثر نظافةً، والأكثر مناسبةً للنمو، ولأن عنايتهمﷺ عناية فائقة بالولد، لذلك ناسب أن يُبكر بتدريب أولادهمﷺ أكثر من غيرهم، وكلما كانت بيئة البيت مناسبةً، كان يمكن أن تبكر بالتدريب على العبادات لطفلك، فيكون من سن الخامسة للصلاة أو السابعة للصوم، وتراعى في الطفل حتى أثناء تدريبه قدرته فلا يؤخذ بما لا يطيق «علّموا أولادكم السباحة والرماية...»[1] الرسولﷺ.

تجدون هنا تربية شاملةً هادفة؛ شاملة تركز على البعد النفسي، على البعد البدني، على الخبرات، على تنمية القابليات، على المسار الفكري، على المسار الروحي. هذه التربية تنظر إلى الشخصية الإنسانية بكل حيثياتها وأبعادها لترعاها وتوافي بين هذه الأبعاد والحيثيات، لتأتي شخصية الإنسان منتظمةً متناسقةً متناغمةً في أبعادها وواقعها.

وليس همّ الإسلام أن يركّز على الجانب الروحي فقط، وإنما ترون فيه أنه يهتم بالجانب البدني، بالخبرات العسكرية، بالخبرات الحياتية العامة.

وإذا كانت التربية العسكرية بالأمس من مسؤولية البيت، من مسؤولية الأب، فإن التربية العسكرية اليوم من مسؤولية الدول. حين أخذت الدول على نفسها أن تتولى العملية بالكامل فهي مسؤولةٌ أمام الله عن هذا التخلّف الذريع، وعن هذه السذاجة والسماجة، وعن هذا المستوى الهابط، بل عن هذا العدم... العدم الكامل في الجانب التربوي العسكري لقطاعات الأمة الأكثر سعة.

---

١. *الكافي*: ٤٧/٦.

إن يوماً قد يأتي على الأمة، تحتاج فيه الأمة إلى كلّ أبنائها بل وحتى بناتها، من أجل مواجهة الخطر، بينما تعيش الشعوب الإسلامية أمام تقدّم الخبرة العسكرية وتقدّم مستوى السلاح، بمستوى الدجاجة الراكنة لصائدها لو قامت حرب، ذلك أن أحدنا لا يجيد أن يطلق رصاصة.

٣. طموح الصالحين

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيا...﴾[١].

نحن نطلب الولد ترويةً لدافعٍ فطري طبيعي، نحن نشعر بالحاجة إلى الامتداد، وندرك من جهة أخرى أن الموت يقف بمرصدٍ لنا، لذلك نطلب البقاء الثانوي في عمر الولد. هذا مطلبٌ فطري طبيعي لا غبار عليه، لكن لا يصح للإنسان المؤمن أن يبقى عند مستواه. إن النصوص تتجاوز بك همّاً وإرادة وطموحاً وعملاً هذا الحد البسيط إلى أن تطمح إلى تكوين جيلٍ قوي، جيلٍ هادف، جيلٍ رسالتي، جيلٍ يتحمل أعباء الخلافة عن الله في الأرض، فتكون بذلك خلاّقاً، تكون بذلك مبدعاً. أما قضية الولادة الطبيعية فأنت تشارك فيها حتى الحشرات، فليس فخراً أن يأتي أحدنا ولادةً بعشرين أو أربعين أو خمسين ولداً، إنما الفخر كلّ الفخر أن يُهيئ الله له أن ينشئ من الولد رجلاً صالحاً يحمل رسالة الله في الأرض، ويكون من الداعين إلى الله. فلنسمع النصوص[٢]:

تقول الآية الكريمة: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَةً طَيِبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ وفي الصافات: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وفي الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ...﴾.

إنه الولد ولكن ليس كلّ ولد. الأمنية الصحيحة هو الولد الصالح، وليس

---

١. آل عمران: ٣٨.

٢. خطبة الجمعة (٤٠) ٢٠شوال ١٤٢٢هـ ٤ـ ١ـ ٢٠٠٢م.

مطلق الولد، فإن من الولد من يسوء، والولد الذي يشرّف والذي يمثّل امتداداً يسرّ أباه، ويسرّ أمه، وتقرّ عينهما به إذا كانا صالحين إنما هو الولد الصالح، الولد الصالح هو الذي يمثّل الامتداد الطيّب، وعظيم على المرء الصالح أن يكون امتداده ولداً سيئاً طالحاً. فالدعاء الديني ومن الأنبياء والأولياء لا يأتي بطلب الولد مطلق الولد وإنما يأتي بطلب الولد الصالح.

الآية الكريمة تقيّد الذرية بأنها طيبة: ﴿...رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً...﴾، الآية الثانية تقيّد ما يطلب العبد أن يهبه له ربّه من بنين وبنات أن يكونوا صالحين ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، الآية الثالثة أن تكون الذريات والأزواج قرة أعين، وقرة عين المؤمن لا تكون إلا في الإيمان ولا تكون إلاّ في الهدى والخير والصلاح.

في بيان التّنزيل لابن شهرآشوب عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ما سألت ربّي أولاداً نضر[1] الوجه، ولا سألته ولداً حسن القامة، ولكن سألت ربّي أولاداً مطيعين لله وجلين منه حتّى إذا نظرت إليه وهو مطيع قرّت عيني»[2].

لا يسرّ أبا الحسن عليه السلام أن يكون ولده قبيح الوجه، ولا يسرّ أمير المؤمنين عليه السلام أن يكون ولده قصير القامة لصيقاً بالأرض، هو ملتفت إلى أهمية أن يكون الولد نضر الوجه وحسن القامة ولكن هناك ما يشغله عن هذه الصفات المحبوبة مما هو أكبر منها: صفاء الروح، سلامة القلب، صحّة النفس، وهو الشيء الذي يعني الطاعة لله تبارك وتعالى[3].

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ليس ذرية فقط، ذرية طيبة، وطيبة في فهم زكريا.. ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

---

١. جمع ناضر الوجه.

٢. *ميزان الحكمة*: ٧٠٣/١٠.

٣. خطبة الجمعة رقم (٢٥٥) ٢٦ شهر رمضان ١٤٢٧هـ ـ ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٦م.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا...﴾ ـ هؤلاء عباد الله الصالحون، عباد الله المتقون، عباد الرحمن ـ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ...﴾[1] قرة عين المؤمن سيأتي عنها في حديث لأمير المؤمنين عليه السلام: «من سعادة الرجل الولد الصالح».

الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ فيما أتذكر ـ «ما سألت ربي أولاداً نضر الوجه ـ يعني وجوههم نضرة جميلة ـ ولا سألته ولداً حسن القامة...» أمير المؤمنين عليه السلام يشتهي أن يكون ولده حسن الوجه، حسن القامة، لكن هذا المطلب يتجاوزه، ينساه، أمام مطلب أكبر حتى لا يلتفت إلى المطلب الأول لأهمية الثاني ـ ولكن سألت ربي أولاداً مطيعين لله، وجلين منه حتى إذا نظرت إليه وهو مطيعٌ لله قرّت عيني»[2].

«ولد السوء يهدم الشرف، ويشين السلف»[3]، من سعادة الرجل الولد الصالح، ويقابله ولد السوء يهدم الشرف ويشين السلف، فيحمِّلنا الإسلام مسؤولية تنشئة الولد التنشئة الصالحة فيأتي الصالح الذي تقرّ به عين المؤمن[4].

٤. المبدأ أولاً

الدين أكبر، الله أجلّ وأعظم، والإنسان المؤمن لا يمكن أن يُقدّم ولداً على الله، وكل شيء ينسحق وكل شيء يضيع وكل شيء يفلت ما دام الحفاظ على العلاقة بالله حاصلاً قائماً.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[5].

---

١. الفرقان: ٧٤.
٢. *بحار الأنوار*: ١٠١/٩٨.
٣. *مستدرك الوسائل*، المحدث النوري: ١٥/٢١٥.
٤. خطبة الجمعة (٤٠) ٢٠شوال ١٤٢٢هـ ـ ٤ يناير ٢٠٠٢م.
٥. الأنفال: ٢٨.

الولد محل الابتلاء، إما أن تأخذه إلى الجنة، وإما أن تذهب وحدك إلى الجنة، ويذهب وحده إلى النار، وإما أن يذهب بك هو إلى النار، فلنعمل على أن نأخذ أولادنا معاً إلى الجنة، ولنحذر شديداً أن نعطي أيدينا لأولادنا يقودوننا إلى النار، و كثيراً ما نفعل فنعطي اليد للولد، ونعطي اليد للزوج، ونعطي اليد للصديق، ونعطي اليد للعدو ليأخذ بنا بعيداً عن الله، ليأخذ بنا إلى قعر جهنم.

«الولد فتنة»[1] الإمام الصادق عليه السلام.

«الولد مجبنة مبخلة محزنة»[2] سبب بخلك؛ تريد أن تجمع المال له، سبب جبنك؛ حذاراً عليه، تحافظ على ذاتك، ولا تخطو خطوة على طريق الجهاد في سبيل الله، محزنة؛ ألمه ألمك، جرحه جرحك، وفاته منغصةٌ لحياتك فهو محزنة.

﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[3].

﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ...﴾[4].

«لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك وولدك، فإن يكن أهلك وولدك أولياء لله، فإن الله لا ضيع أولياءه، وإن يكونوا أعداء الله فما همك وشغلك بأعداء الله»[5] الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام[6].

تحديات العطلة الصيفية

الاستهداف للأولاد قائم طول السَنة، وتُعدُّ عطلة الصيف فرصة ذهبية

---

١. *الكافي*: ٥٠/٦.

٢. *بحار الأنوار*: ٩٧/١٠١.

٣. المنافقون: ٩.

٤. التغابن: ١٤.

٥. *نهج البلاغة*: ٨٢/٤/ *الحكم القصار*، الحكمة: ٣٥٢.

٦. خطبة الجمعة (٤٠) ٢٠شوال ١٤٢٢هـ ـ ٤ يناير ٢٠٠٢م.

لمحاولات الاصطياد والإيقاع بالصبية والشباب في شباك المفسدين[1].

يقدم الصيف والعطلة الصيفية على أبناء المسلمين والمؤمنين وبناتهم، أولئك الذين يمثلون الأمانة الغالية، أمانة من الله، ومن رسوله ﷺ، الذين يمثلون الرصيد الضخم للمستقبل، ويمثلون الأمل الكبير للإسلام على تقدير، ويمثلون الكارثة العظمى للأرض كلها، ولجميع أبناء الإنسان [على تقدير آخر]، أبناؤنا وبناتنا، فلنحاسب أنفسنا كم تلقوا من وعي الدين، ومن فهم الرسالة، وكم فهموا من عظمة رسول الله ﷺ والأئمة الأطهار، والصحابة الأماجد، وكم تلقوا من دروس الإسلام، وكم تغذوا بكلمة الوحي، وكم كان لهم من رصيد إيماني تقدمه المدرسة والمنهج المدرسي، ما مقدار صناعة المدرسة لإسلام الولد؟ ولإسلام البنت؟ نحن نعرف حجم الدور المدرسي في صناعة الولد والبنت وفي الأكثر نخاف على الولد والبنت مما يقدمه كثير من المدارس والمناهج، فضلاً عن أن نطمئن إلى التربية الكاملة السليمة للولد والبنت.

العطلة الصيفية تعطى بعد ملل، بعد كسل استعقبه الجهد الجهيد، والعمل المضني، والصيف هو الجو الحار الذي يثقل المشاعر، ويقلل الحركة والنشاط، هذا المقدار البسيط الضئيل، يستحقه الإسلام منكم أو لا؟ تستحقه أمانة الأولاد والبنات أو لا؟[2]

في الصّيف في هذا البلد الصّغير في مساحته توجد مئات إن لم تكن ألوف المشاريع والأنشطة تحت عناوين مشاريع شبابية، أنشطة شبابية، ولقاءات شبابية، ترفيهات شبابية، سفرات شبابية، وعناوين كثيرة من هذا النوع. والأكثر من هذه المشاريع فيها سرقة وعي، وسرقة دين، وتفريغ من رجولة وفتوة، وتجفيف منابع شرف وغَيْرَة، وهدم خلق، وتمييع، وتدجين،

---

١. خطبة الجمعة (٤١٤) ١٩ رجب ١٤٣١هـ ـ ٢ يوليو ٢٠١٠م.

٢. خطبة الجمعة (١١) ٢٣ ربيع الأول ١٤٢٢هـ ـ ١٥ ـ ٦ ـ ٢٠٠١م.

وإفساد ضمير، وإلهاء وإغواء، وصرفُ نظر، ونَسْف قيم، وإبعادٌ عن الله، وتغيير انتماء، وتبديل ولاء، وإعدادٌ لمهمات خسيسة، وأدوار ساقطة، ووظائف شيطانيّة، وممارسات قذرة. يلد الآباء ويربّون ليُقدّموا أبناءهم سلعة رخيصة لأصحاب الجشع والطمع والشهوات؟!

وكل هذه المشاريع تبحث عن الصّبية والصبيات، والشباب والشابات، ولها دعمها الهائل، ووسائلها المغرية، وخططها المعدّة، وأجهزتها الكافية.

في قبال ذلك بعض المشاريع المسجديّة المتواضعة ـ غير المخطّط لها تخطيطاً جيّداً، ولا تمتلك الكفاءات العالية، والإمكانات الكافية ـ تُحاول أن تنقذ بعض هؤلاء المستهدفين لقوى الانحراف وتضعهم على الطريق الأقوم، وتحافظ على إنسانيّتهم وكرامتهم، وتمدّهم بالبصيرة الدينية التي تعينهم على تبيّن الطريق، وقصد الغاية، وتقدّم خدمة مخلصة لهذا الوطن ومجتمعه الكريم.

ويتحمّل الآباء والأمهات مسؤوليتهم من جهتين:

الأولى: عدم التخلّي عن رعاية الولد من ابن وبنت في دينه، وخلقه، وتفكيره، وعلاقاته، وتعامله مع الحرام والحلال، وموقفه من الواجبات والعبادات.

فالتخلّي عن المسؤولية في كلّ هذه الجوانب، وإيكال الأمر[1] إلى مشاريع التعليم والصلاة في بعض المناطق فيه تفريط واضح في حق الأولاد، وإخلال بالواجب الديني، وتقصير في تحمل المسؤولية أمام الله الذي حمّل الآباء والأمهات أمانة تربية الأولاد ووقايتهم من النار ﴿...قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾[2]. ونشاط مشاريع التعليم والصلاة مهما بلغ وأخلص وخدم إلا أنه لا يمكن أن يغني عن دور

---

١. صار سائداً أن يتخلى الوالدان عن مسؤوليتهما بالكامل ويقعدا على مشروع صغير أو كبير، قادر أو غير قادر في القرية، في المنطقة لتربية الولد، هذا خطأ. «منه حفظه الله»

٢. التحريم: ٦.

الأبوين والأسرة ورعايتهم ورقابتهم وتوجيههم وتعليمهم وتربيتهم.

ومن جهة ثانية فإن ترك الاختيار لصبيٍّ لم يبلغ، أو لشاب لم يستكمل نضجه في اختيار المشروع الذي يلحق به من المشاريع التي تملأ السّاحة ويكثر من بينها المشاريع المغشوشة بواجهات برّاقة مع وجود ولي أمر مسؤول عن التربية، وقادر على التّوجيه والنّصح فيه تخلٍّ عن تحمُّل الأمانة، وتقصير كبير في حق الولد[١].

الصبي يُختار له المشروع الموثوق في توجهه وتربيته، والشاب ينصح ويوجه، ثم يعاتب ويحاسب ويتشدّد معه إذا اختار ما يسيء لمصلحته ودينه وسلامة شخصيته[٢].

الحث على حضور الدورات التربوية الصيفية:

فلتكن هناك قوة واحدة، ونشاط مكثف، وبرامج مرسومة، ومناهج مدروسة، وبذل للمال، وحث للولد والبنت على حضور الدورات الصيفية التربوية والتي قد تدخل بقسط من الإيمان، ومن الفهم التاريخي السليم، ومن زرع أمل الإسلام في نفوس الأبناء والبنات، ومن الاتجاه إلى الله في نفوس هؤلاء الأبناء والبنات الذين هم أمانة كبرى وأغلى رصيد بيد مؤمن أو كافر. فلتبذل الأموال بسخاء، وأنت هنا تتصدق أحسن الصدقات، أنت هنا لا تبني أجساداً بقدر ما تبني أرواحاً وعقولاً وتوقظ أفئدة، غداً سيتحول الدينار الواحد بيدك في الآخرة إلى ما لا تعرف من ملك، وما لا تعرف من رضوان من رضوان الله.

فليكن البذل بسخاء، وليعطي المدرس جهده، ولينوي النية الخالصة، ولتكن مشاريع التربية بعيدةً عن تدخلات الشيطان، ولتحرس الحراسة الشديدة عن أن يدس الخلق الدنيء فيها أنفه. لا بد أن تتحول عندنا كلمات

١. تترك صبياً هو وخياره ليلتحق بهذا الموقع أو ذلك الموقع؟! بهذا النشاط أو ذلك النشاط؟! حتى الشاب الذي بلغ، ما مقدار تجربته في الحياة؟ عليك أن تكون له عوناً في الرأي. «منه حفظه الله»

٢. خطبة الجمعة (٤١٤) ١٩ رجب ١٤٣١هـ - ٢ يوليو ٢٠١٠م.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى مشاريع لا إلى أن تختفي تلك الكلمات، وإنما لتتعايش الكلمة مع المشروع، فإن الكلمة من أجل المشروع، والمشروع لا يبقى إلا مع استمرار الكلمة. يريد قاعات زواج، وبرك سباحة، ومشاريع من هذا النوع يخطط لها الرساليون، وتكون تحت حراستهم وإشرافهم، وتحت يد أتقى الأتقياء منهم، وتزود بكل ما هو مفرح، وبكل ما هو مهنئ مع مراعاة الحكم الشرعي والنظافة الشرعية[1].

وظيفة الأبناء تجاه الآباء

ينصب الحديث هنا على دائرة العلاقة بالوالدين وهي إحدى العلاقات المتينة الأكيدة في محيط الأسرة، التي يراد لها بجميع علاقاتها أن تكون النواة، والمنطلق القوي لعلاقات اجتماعية أوسع تقوم على الله والعمل الصالح، درأ الظلم، وإقرار العدل، والاستقامة على الدرب، وهذه جولة عاجلة مع نصوص الموضوع وفروعه:

١. الإحسان هو القاعدة

إذا كانت القاعدة في العلاقات العامة هي العدل فإنه ربما كانت القاعدة في دائرة العلاقة مع الوالدين هي الإحسان:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[2].

إنّه قضاءٌ وحتمٌ واحد، صَعَّدت به درجة الإحسان إلى الوالدين حتى كانت في تعبير الآية من درجة واحدة مع عبادة الله سبحانه ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

---

١. خطبة الجمعة (١١) ٢٣ ربيع الأول ١٤٢٢هـ - ١٥ - ٦ - ٢٠٠١م.

٢. الإسراء: ٢٣ - ٢٤.

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وليس بعد درجة الوجوب لعبادة الله درجة، تلك الدرجة العالية المغلّظة من الوجوب شُرّك في متعلقها الإحسان إلى الوالدين، ولست مع شرح الآية الكريمة في هذا المقام، ولكن انظروا ـ في ما يتصل بنقطة تأتي ـ قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ فليس هناك ذلٌّ وخضوع واستكانة إلا لله، حتى في العلاقة مع الوالدين إنما الذل هنا نوع من الرحمة ويحمل معنى الرحمة وليس معنى الاندكاك والخضوع المطلق، لمولوية المولى الحق.

«في قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الإحسان أن تحسن صحبتهما، وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنين» الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام.

أبوك قادر على أن يتحرك نحو ما يريد من شربة ماء أو شيء آخر مثلاً، أن يقوم بخدمة معيّنة من خدماته. هو قادر على ذلك لكنك تبادر إلى خدمته فيما يقدر من غير أن تنتظره أن يصدر طلبه.

«اللهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرهما برّ الأم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالدي وبرّي بهما أقرّ لعيني من رقدة الوسنان، وأثلج لصدري من شربة الظمآن، حتّى أوثر على هواي هواهما...» عن زين العابدين عليه السلام.

هيبة ممزوجة بحبٍّ عارم، بمسرةٍ للخدمة وبإيثارٍ وتقديمٍ على النفس.

«ثلاثٌ لم يجعل اللهُ لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة للبر والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين» عن الإمام الباقر عليه السلام.

لا يُعتذر بفسق الوالد، ولا بفسق الوالدة ولا بمخالفتهما في الرأي العقيدي؛ فكل ذلك لا يُسقط مسألة الإحسان إليهما والبرّ بهما.

٢. برّ متصل وتدارك لتفريط

«ووالديك فأطعهما وبرّهما حيّين كانا أو ميتين...» عن الرسول صلى الله عليه وآله.

«إن العبد ليكون باراً بوالديه ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهما، ولا

يستغفر لهما، فيكتبه الله عاقّاً، وإنه ليكون عاقّاً لهما في حياتهما غير بارّ بهما، فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله باراً» عن الإمام الباقر عليه السلام.

الحياة ممتدة والبرّ متصل، ويمكن أن يتحوّل البار إلى عاقّ بعد موت أبيه، ويمكن أن يتحول العاقّ بعد موت أبيه إلى بارّ، ذلك بأن يتدارك أمره وتفريطه، فيتجه اتجاهاً جديداً في الأخذ بأمر الله في علاقته بأبويه. فبعد أن كان عاقّاً يتحول إلى بارّ، فيقوم بالأعمال التي تنفعهما في أخراهما.

ومن البر بعد الموت بالوالدين التصدّق عنهما، والحج، والصوم - كما في الروايات - فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك. صلّى فيكون ثواب صلاته لوالديه، وينال هو من ثواب صلاته مثل ذلك. لا يثلم من ثوابه ثوابُ والديه شيئاً، بل يزيده الله ببره وصلاته أو صلته.

فالصلاة عن الأب تسجّل ثواباً للأب هو أصل الثواب للصلاة، وتسجّل ثواباً للإبن البارّ، ويزداد الإبن البارّ على ثواب الصلاة ثواب البرّ، فهنيئاً له.

٣. خطورة بالغة

«يقال للعاقّ اعمل ما شئت فإني لا أغفر لك» عن الرسول صلى الله عليه وآله.

«عقوق الوالدين من الكبائر لأن الله جعل العاقّ عصياً شقيّاً» عن الصادق عليه السلام.

«الذنوب التي تُظلم الهواء عقوق الوالدين» عن الصادق عليه السلام. أثرٌ موضوعي دنيوي فإذا انتشر عقوق الوالدين سائت الحياة، وربما تأثرت الظروف الطبيعية سلباً بما يعود على المجتمع بالضرر، فدفع عقوق الوالدين دفعٌ لمنكر يستتبع خطره كارثةً للمجتمع، فمن حقي أن أنكر عليك عقوق والديك، ومن حقك أن تنكر علي عقوق والديّ، ولو لهذا الأثر الدنيوي المحطِّم المشترك.

«إثنان يعجّلهما الله في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين» عن الرسول عليه السلام.

العقوبة ليست أخروية فقط وإنما معها عقوبة دنيوية.

«من العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيُحدّ النظر إليهما» عن الصادقعليه السلام.
حدة النظر إلى الوالد إلى الوالدة، التحديق في وجههما بنظرة لا تحمل رحمة، ولا تعكس الذل من الرحمة وخفض الجناح من الذل للرحمة للوالدين: عقوق.

النظرة المركزة التي قد تنظرها في وجه صاحبك فلا تعني شيئاً، إذا نظرتها في وجه والدك بلا أن تحمل ملامح الذل من الرحمة فهي عقوق.

«من نظر إلى والديه نظر ماقتٍ وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة» عن الصادقعليه السلام. الوالد ظالم لولده، وكلّ ما يفعله هذا الولد هو أن ينظر إلى والديه نظر ماقتٍ لظلم الوالد له، هذا عقوق.

«من أحزن والديه فقد عقّهما» تتأخر في الليل لغير موجب هو أهم تأخراً يحزن والديك، فأنت آثم، فقد عققت فأنت آثم، ما ارتكبته مباحٌ بعنوانه الأوّلي، وبما هو هو، ولكن بما أنه قد أدخل حزناً على الوالدين فعلى إباحته في الأصل إلا أنه يعبّر عن عقوق ويستحق عقوبة.

٤. تعارضٌ وحل

يا رسول الله: من أبرّ؟ قال: «أمك»، ثم قال من؟ قال: «أمك»، قال ثم من؟ قال: «أمك»، ثم قال من؟ قال: «أباك».

وقد يختلف أمر الأب والأم في ما يتعلق بشيء واحد، أو بخدمة مطلوبة لهما، هذا يطلب منك خدمة، وتلك تطلب منك خدمة، وليس في وسعك أن تجمع بين الخدمتين لضيق الوقت مثلاً، من تقدّم؟ تقدم الأم وأمرها.

لكن لو أمرتك الأم بأن تعقّ أباك، بأن تخرج على طاعته، أن تتمرد عليه، تكون قد أمرتك بمعصية وليس لها حق الطاعة في ما تأمرك به من معصية الله.

٥. الله فوق كلّ شيء

﴿...وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا...﴾[١].

لا أمّ، لا حاكم، لا زوجة، لا صديق، لا حبيب، لا منعم من الناس بمستحق طاعة فيها معصية الله . كلّ شيء يذهب هباءً إذا كان في معصية الله، إنما طاعتنا لرسول اللهﷺ من طاعتنا لله. وهكذا كلّ طاعة لا تصح إلا بأن تنتهي إلى طاعة الله الثابتة نفسها.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ العبادة لله وحده، ﴿...أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...﴾ فلا تتوهم أن الإحسان للوالدين يمتد إلى حدّ العبادة أبداً.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا...﴾ وأنت إذا أطعت أحد الوالدين فيما هو معصية لله فقد أشركت بالله.

«برّ الوالدين واجبٌ وإن كانا مشركين فلا تطعهما ولا غيرهما في المعصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» عن الصادقعليه السلام.

من أطاع غير الله سجد له بقلبه، سجد له بعقله، سجد له بمشاعره، وإنها لقسمة ضيزى، وإنه لموقف سخيف أن يسجد العبد لله بجبهته، ثم يولي بوجهه عنه ليسجد بمشاعره وقلبه وعقله لغير الله، فقد استهان بالله، ومن استهان بالله استهان الله به. الطاعة في المواقف لغير الله، والسجود في المساجد لله، الجارحة سجودها لله، والجانحة الأهم سجودها لغير الله؟ أنت ماذا؟ أنت جبهة أم أنت قلب وعقل وضمير؟ إذن أنت قد سجدت لغير الله وليس لله[٢].

ضمانة صلاح الأسرة

بمقدار ما يكون عليه الزوجان من نصيب من التربية الإسلامية الكريمة،

---

١. العنكبوت: ٨

٢. خطبة الجمعة (٤١) ٢٧ شوال ١٤٢٢هـ ـ ١١ يناير ٢٠٠٢م.

وانشداد للإسلام، وعمل بمقتضى تكاليفه، وارتقاء إلى مستوى خلقه، وإيمان بأهدافه وغاياته، وحبّ لله، وتعلّق به، وإكبار له، وخوف منه، وطمع في رضاه، واستغناء به تغنى الأسرة بعلاقات وثيقة كريمة مترشّحة عن الدين والتقوى، وتسودها أجواء الاحترام والتقدير، والوفاء والإخلاص، والإحسان والتسامح، والإيثار، والصدق، والأمانة، والتوافق المريح، والحب المتبادل، والمودة المشتركة العميقة.

أما لو بقيت الأسرة عند حد التقيّد بالأحكام الإلزامية من وجوب وحرمة، ولم ترقَ إلى حدّ التعامل الخلقي المطبوع بطابع الإحسان والتسامح والتضحية والإيثار، وأصرّ كلّ واحد من أطرافها على استيفاء حقّه كاملاً دون أي تسامح، ولم يتجاوز ما ثبت عليه من واجب إلى شيء من الإحسان فإن النتيجة ستكون كالآتي:

١. لن يُضمن في غياب معطيات التربية الإسلامية التي تدفع للتغاضي والتسامح والبذل والتضحية والتعاون على الخير تطبيق الحد المذكور، وتحمّل أمانته لضعف الدافع الديني حينئذ، حيث يكون في حدّه الأدنى المعرّض دائماً للاهتزاز.

٢. سيتطلب أمر المحاسبة الدقيقة في مسألة الحقوق والواجبات في إطار الأسرة، والإصرار على استيفاء الحقّ كاملاً، وعدم التنازل للطرف الآخر مطلقاً مشاكل لا تعد ولا تحصى يثيرها الخلاف في هذه القضية؛ قضية أن حقي وصلني أم لم يصلني، وأن ما عليّ قمت به أو لا.

وعليك أن توجد حينئذ لكل أسرة مصلحين بين أطرافها، وعلى مستوى آخر عليك أن توفر شهود عدل لتحمّل الشهادة في هذه الخلافات في كلّ بيت، وأن تفتح محاكم قضائية بأعداد كبيرة لتستوعب النظر في سيولٍ من الشكاوى المتعلقة بها.

ويتأكد هذا لو بعدت الأسرة عن روح التقوى، واحترام الشريعة، وأخلاقيات الدين وقيمه؛ فإنه إذا أصيب جوّ الأسرة بالجفاف الروحيّ،

وموت الضمير، وسادته الروح المادية والأنا الجاهلية، وتشبّع بقيم الأرض، وتقديس الشهوات، وحكمته قضية المنفعة الشخصية الدنيوية كان ذلك منبعاً دائماً لتغذية النزاعات والصراعات وسلب الحقوق، والتنكر لها، ومصادرتها، وللوقوع في حالة مستمرّة من الاحتراب.

ولضرورة الدّين والخلق في استقامة العلاقة الزوجية وسعادتها، وتوفرها على أداء أهدافها الكريمة النبيلة من السكن النفسي، والمودة الصادقة، والجو المريح، والبيئة المعنوية الراقية، والثقة والاطمئنان، والتعاون على الخير، وخلق المناخ الروحي الطاهر، وثمرة الولد الصالح، وتربيته التربية الواعية الهادفة الصالحة النزيهة ركّزت النصوص الدينية بدرجة عالية على الاهتمام بالدّين والخلق الرفيع والوراثات الكريمة في كلّ من الزوجين، وحثت كلاً منهما على أن لا يقع تحت تأثير المظاهر الخارجية لِتصرفه عن الأبعاد التي هي أبعد عمقاً وأشد تأثيراً في بناء العلاقة الزوجية الناجحة:

١. فعن الرسولﷺ: «أنكحتُ زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وأنكحت المقداد ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ليعلموا أن أشرف الشرف الإسلام»[١].

فالإسلام، صدق الإسلام، عمق الإسلام في شخص الزوجة،وفي شخص الزوج هو المنظور الأول لصلاح العلاقة الزوجية.

٢. عن حسين البشّار قال: كتبت إلى أبي الحسنعليه السلام: إن لي ذا قرابة قد خطب إليّ[٢] وفي خلقه سوء[٣]؟ فقال: «لا تزوجه إن كان سيء الخلق»[٤] وإن كان على الدين الحق من ناحية عقيدية ومن ناحية تطبيق الواجبات.

---

١. *مكارم الأخلاق* ـ الطبرسي، ص٢٠٧.

٢. خطب منه ابنته. «منه حفظه الله»

٣. يصلي ويصوم ويحج لكن له مزاجاً حاداً، ولا صبر له على الطرف الآخر، ويضيق صبره بأقل سبب، ربما شح بالمال بحيث يضيق به صدر أهله. «منه حفظه الله»

٤. *ميزان الحكمة*: ١١٨٣/٢.

٣. عن الرسولﷺ: «تزوجوا في الحجز الصالح[١]؛ فإن العرق دسّاس»[٢]، يشير إلى تأثير الوراثات السلبية والإيجابية.

٤. عن أبي جعفرﷺ قال: «أتى رجل رسول اللهﷺ يستأمره في النكاح[٣]، فقال: «نعم انكح وعليك بذوات الدّين تربت يداك»[٤].

٥. جاء رجل إلى الحسنﷺ يستشيره في تزويج ابنته؟ فقال: «زوّجها من رجل تقي[٥]؛ فإنه إن أحبّها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها»[٦].

أمّا شخص لا إيمان له، لا يخاف الله فإنه إذا أبغضها ضربها ظلمها وآذاها[٧].

النمط الغربي تهديد خطير لكيان الأسرة:

أما الذين يرفعون شعار التغريب والركض وراء معطيات الحضارة الغربية ومبدأ المنفعة الدنيوية الذي تتمحور حوله حركتها، وتنطلق منه أخلاقياتها، وتشريعاتها، ورؤاها، وخططها، ومشاعرها، وضوابطها،

---

١. المنبت الطيب. أصل هذا الشخص ذكراً كان أو أنثى، وصلاح الأم، وصلاح الأب، وكلما ارتقى مستوى البيت إيماناً ونسباً، كلما ساعد ذلك على العشرة الطيبة، والنسل الكريم. «منه حفظه الله»

٢. *كنز العمال*: ٢٩٦/١٦.

٣. أتأمرني يا رسول الله بالنكاح؟ بلحاظ خصوصيات الشخص، التي ربما كان رسول اللهK على اطلاع بها وإن كان يعرف أن الاسلام يحبذ النكاح في أصله. «منه حفظه الله»

٤. *وسائل الشيعة* (آل البيت): ٣٨/٢٠.

٥. التقي لا ينفي الصفات الأخرى، وإن التقوى هنا في قبال عدم التقوى. أتختار التقي على الغني أم تختار الغني المترف والذي لا تقوى له على التقي؟ أتختار ومن أقوى الأقوياء، أتختاره على صاحب التقوى أم تختار صاحب التقوى والصحة معتدلة، على هذا القوي الفولاذي الشديد؟ فذكر التقي هنا لا يلغي لحاظ الصفات الأخرى المطلوبة في الزواج. «منه حفظه الله»

٦. *مكارم الأخلاق* ـ الطبرسي: ٢٠٤.

٧. خطبة الجمعة (٣٧٧) ٢٤ رجب ١٤٣٠هـ ـ ١٧ يوليو ٢٠٠٩م.

وتقديراتها فهم يدرون ماذا يريدون بمكرهم في الليل والنهار من سوء بهذه الأمة، ومسخ لهويتها، وإضرار باستقلالها، ومصلحتها، وبيع لها لجاهلية الغرب بثمن يتقاضونه من متاع الدنيا، وهو وإن كبر في أعينهم إلا انه ليس بكبير وإن عظم في نفوسهم فإنما هو حقير ﴿...وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[1].

إن الأسرة لن تحصد في اقترابها من النمط الغربي إلا مزيداً من التدهور، والتعاسة، والشقاء، والتفكك، والتمزق، والخيانات، والاضطرابات، والفوضى، وما يسمّونه بالعنف الأسري الذي أشارت بعض الإذاعات بتصاعده في أمريكا ـ البلد الغربي النموذجي للحضارة التي يتشرف هواة الغرب وعملاؤه باستيراد القيم الخلقية والتشريعية منها، وذلك التصاعد كما أشارت إليه الإذاعة ـ بسبب من الأزمة المالية.

أما اهتزاز وضع الأسرة المسلمة اليوم، واضطراب العلاقات في داخلها، وما اعتراها من الاتساع في حالة التصدع والتفكك، وازدياد ظاهرة الطلاق فمردّه إلى عدد من الأسباب الرئيسة أذكر منها:

أولاً: تسطّح الحالة الدينية وانفصالها عن الوعي المطلوب، والتفقه في الدين بما يفي بالحاجة العملية في حياة الإنسان المسلم.

ثانياً: التشبّع بروح القيم المادية، وغياب الضمير الإسلامي الحي العامر بالقيم المعنوية الإلهية بتأثير وسائل التربية والإعلام الضخمة المضادة.

ثالثاً: خضوع أو تلاقي السياسات المحلية في البلاد العربية والكثير من البلاد الإسلامية مع أعداء الإسلام على إحلال النمط الغربي الجاهلي في حياة الأسرة المسلمة، وعلاقاتها محلّ النمط الإسلامي الكريم[2].

---

١. الشعراء: ٢٢٧.

٢. خطبة الجمعة (٣٧٣) ٢٥جمادي الثاني ١٤٣٠هـ ـ ١٩ يونيو ٢٠٠٩م.

معايير الأسرة السعيدة

البيت السعيد لا يبنيه الآتي:

١. لا تبنيه قوانين وضعية تنتقص من حقّ المرأة محاباة للرجل، أو تنتقص من حقّ الرجل مراعاة للمرأة، وإنما تبنيه أحكام الشريعة الإلهية العادلة، والإحسان الذي هو خلق من خلق الله العظيم.

٢. ولا إنشاء بيوت الإيواء التي تغري بحالة التوتر في البيوت، وعدم التسامح، ولا تمثّل مواقع أخلاقية كريمة مأمونة راقية.

٣. ولا قضاء تميل كفّته لهذا الطرف أو ذاك.

٤. ولا إعلام جاهلي يذكي نار الفتنة بين الزوج والزوجة، ويضرب على وتر العواطف لتمزيق المجتمعات، وهو يخفي وراءه أغراضاً حضارية معادية، وأهدافاً سياسية دنيئة ضدّ كلّ من الرجل والمرأة، ويشتري ودّ النساء للحكومات بثمن وهمي، وبضرر يعود على كلّ من الرجل والمرأة.

٥. ولا مؤسسات بعناوين متعددة وشعارات برّاقة تسيرها السياسة، وتستهدف ولاء المرأة ضد نفسها ولو لم تشعر بذلك، وتسعى لأهداف سياسيّة مكشوفة تحت عنوان حقوق المرأة ومناصرتها.

ومن الملفت أن هذه المؤسسات لا تعير اهتماماً للمرأة في سكنها، وأمنها المعيشي، وفي عذابات أبنائها وعذاباتها لعذاباتهم، وتبارك أن يكون صوت رجل واحد في دائرة انتخابية بقيمة عشرة أصوات من أصوات النساء في دائرة انتخابية أخرى.

وكثير من هذه المؤسسات والكتّاب والأجهزة الإعلامية التي تملأ الدُّنيا ضجيجاً رافعة عقيرتها باسم حقوق المرأة وحريتها هي داعمة لسياسات التميز والتجنيس الضاغط على المواطن ذكراً كان أو أنثى، وللسياسات الظالمة الأخرى التي لا تفرّق في الظلم والاضطهاد والتهميش بين رجل وامرأة.

٦. ولا في اتفاقية سيداو التي تصادم في بعض بنودها أوضح الواضحات في الشريعة الإسلامية السمحاء الوضّاءة العادلة، ولا في أيّ من مقررات ووصايا الجاهلية الحديثة المنحدرة.

وهذه شهادة الواقع العملي على الأرض تؤكد لنا أنه كلّما اقتربت الحالة الاجتماعية والأسرية من تصوّرات الغرب وأخلاقياته وقوانينه وجاهليته كلما تدهور واقع الأسرة والمجتمع، وكثرت حالات الطلاق، وزاد التفكك والتمزق والتبعثر، وبرزت ظاهرة الخيانة والتشرد والانفلات والسقوط.

والأكثر الأكثر من دعاة التغريب وأنصارِه في حياة المسلمين، والذين يحاولون بإصرار على أن ننسلخ من الهوية الإسلامية، ونكون جزءاً تابعاً لأمة الغرب المعادية بقوةٍ للإسلام لا يفعلون ذلك غفلة عن الآثار التدميرية الهائلة التي تلحق بأمتنا، وتمسخ إنسانها وتذله وتهينه، وتنأى به عن ربّه الكريم ورحمته وهداه. ومسؤولية الأمة أن تحمي نفسها من هذه المحاولات، وتقف ضدها وقفة واعية يقظة دائمة صلبة قويّة

الحياة السعيدة، والبيت السعيد، والمجتمع الإنساني السعيد في الأخذ بما شرَّع الله لعباده، وفيما أوصى به من تقواه والتربية عليها، وفيما دعا إليه من إحسان يدفع إليه الإيقان بما وعد به من جميل ثوابه، وجزيل عطائه دنيا وآخرة[١].

٧. البيت السعيد ليس في الحالة المادية الترفية المبالغ فيها والمظاهر الباذخة التي قد تتعشقها بعض الزوجات حتى من الزوج الذي لا يستطيع، وتضغط عليه كثيراً في هذا السبيل.

٨ والحبّ ليس في الإسراف على المرأة، وما أخلص لزوجته من بخل عليها.

والمرأة التي تبدو وكأنها تستنزف جيب زوجها توحي إليه بأن علاقتها به مادية نفعية صرف، وأن تقديرها لماله لا لمعنويته. وأن علاقتها به مرهونة بالمال،

---

١. خطبة الجمعة (٣٧٧) ٢٤ رجب ١٤٣٠هـ ـ ١٧ يوليو ٢٠٠٩م.

وهذا ما يسوء به ما بين القلبين، ويقلل من شأن المرأة في قلب الرجل، ويخلق حالة من الحقد عليها بعد أن يحسّ بأنها تستهدف منافعه وكل تعلقها بالمال لا به.

٩. الدار الوسيعة مع ضيق صدر أهلها ضيقة، ونورها ظلمة، وغناها فقر، وجمالها مغمور، والدار الضيقة مع سعة صدر أهلها واسعة بسعته، نيرة، غنية، جميلة بما في قلب أهلها من نور وغنى وجمال.

١٠. الرجل يمرض والمرأة تمرض، وقد يضيق صدر هذا مرة وهذه مرة لضاغط قوي، وأمر لا يُدفع، وقد تمر سحابة انقباض عند الزوج أو الزوجة، وقد يدخل سوء ظن عابر عند أحد الطرفين تجاه الطرف الآخر، وهي أمور تتكرر.

فما لم تكن محاولة تغلُّبٍ على الظرف، وقدرٌ كاف من التفهّم، وتحملٌ لجرعة من الصبر، وروحٌ تحتمل الآخر وتحنُّ عليه، وتخلِصُ له فإن للأسرة في كلّ يوم مشكلةً بل مشاكل يتصاعد مستوى تراكمها إلى حدّ الانفجار.

١١. إنها جاهلية مقيتة لا تستقيم مع الإسلام أن ننقسم إلى رجال لا يدافعون إلا عن حق الرجل،ونساء لا يدافعن إلا عن حق المرأة، أولئك لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا بما اتصل بمصلحة الرجل، وهؤلاء لا يهمهن من هذا التكليف إلا ما كان يعالج ظلماً يصيب المرأة.

الإسلام لم يقسم المجتمع الإسلامي إلى صف رجال ونساء في إصلاح المجتمع، في أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وتصحيح المسار الاجتماعي بحيث يكون مطابقاً للمسار الإسلامي، ومن جهة الهداية والضلال، والحق والباطل، والعدل والظلم. قسّم الإسلام المجتمع إلى كافرين وكافرات، وفاسقين وفاسقات في طرف، وإلى مسلمين ومسلمات، ومؤمنين ومؤمنات، وقانتين وقانتات، إلخ[١].

١.خطبة الجمعة (٣٧٧) ٢٤ رجب ١٤٣٠هـ ـ ١٧ يوليو ٢٠٠٩م.

الختام دراسة ظواهر

ظاهرة الزواج الجماعي

الزواج سنّة من السنن المؤكّدة في الإسلام، ولا تدوم أمة، ولا بقاء للناس لو عطل التزاوج.

وظاهرة التزويج الجماعي الذي يُعين فيه القادر العاجز على قضاء حاجة من حاجاته الملحّة، ويحي بذلك سنة مهمة من سنن الإسلام من أوضح القربات.

وينبغي التنبيه هنا على أمور قد تساعد على إنجاح هذه الظاهرة بدرجة أكبر، وتخلّصها من بعض نقاط الضعف:

١. يوجد في مسألة التزويج العقد والزّفاف، والعقد هو المهم وهو وحده المحلل لما بين الزوجين من علاقة خاصة، وهو ما تترتب عليه الزوجية الشرعية بما ينشأ عنها من حقوق وواجبات، فالعقد هو كلّ شيء في تحقق الزواج، وأما الزفاف فهو مظهر من المظاهر التي وردت شرعاً وبضوابط وفيه فائدة الإشهار والتزويج لهذه السُنّة وفرحة الزوجين باهتمام المجتمع بهما. ولكنه لا يمثل ضرورة، ولا يأخذ صِفَةَ الوجوب بأي حال من الأحوال.

فأمامنا مظهر، وأمامنا لب، واللب هو العقد، والزفاف هو المظهر الذي

يمكن أن يُستغنى عَنَه، فأين يكون الإنفاق؟ أيكون الإنفاق على العقد، أم يكون الإنفاق على الزفاف؟

وما ينبغي أن يهتم به المجتمع كثيراً أن يحلّ شرعاً ما حرّم الله بين الأجنبي والأجنبية من علاقة خاصة، وهذا إنما يكون بالعقد.

وعليه فالمقترح أن يكون حفل الزواج الجماعي المعروف هذه الأيام مستهدفاً تحليل علاقة ما بين الطرفين من الرجل والمرأة شرعاً بعد حرمتها وذلك بأن يكون الحفل للعقد لا للزّفاف، فإن كلّ الزواج وحقيقته هي العقد. من تمَّ عقدُه تم زواجه.

وتبقى مسألة الدخول ومن الحسن أن تكون في ليلة العقد، ومن تأخر بها فإن قدر على الوليمة فليفعل وإن لم يقدر فلا ضرورة لذلك ولا يعاب بعدمه. وقد تم الإشهار من خلال حفلة العقد.

٢. حتى يمكن تزويج أكبر عدد تطاله القدرة المالية المتاحة للجهة المشاركة في حفل العقد بالإسهام في المهور أو متطلبات الحفل تُعطى المساعدة لمن هو محتاج حقّاً والذي لا يجد مالاً آخر يصرفه بتزيد في جوانب غير ذات أهمية أو غير مقبولة شرعاً مما يتعلق بموضوع الزواج. أن يكون عند الأخ ألف دينار، ألف وخمسمائة دينار يضعها في ما لا أهمية له، ثم يعتمد على المساعدة من ناحية المال؛ هذا غير صحيح.

٣. لا سرف في حفلات التزويج، وعرفت من بعض الصناديق الخيرية أنه لزواج جماعي في قريتهم دعوا كلّ البحرين. هذا لا داعي له، أنت تجمع المال من هنا وهناك من المؤمنين، هذا المال يجب أن يوضع في الضرورات، وفي ما يجدي أكثر، لم هذا الاستنفار العام؟ لا نحتاج إلى الاستنفار العام، والإنفاق الباذخ من أجل حفلة زواج. إطعام وبسخاء ولكن بلا إسراف.

هذا المال الذي تضعه في دعوة أهل البحرين كلهم في الزواج زوّج به

عشرة آخرين، زوج به عشرين آخرين. هذا هو المهم فلنركز عليه. وما أكثر ما نحتاجه من الرشد في مسائل الإنفاق.

٤. حبّذا جداً لو يكون هناك حفل تزويج موحّد نسوي كما هو الرجالي، للاقتصاد، ولضبط الحفل ضبطاً شرعيّاً.

٥. الأخذ بالحد الشرعي في حفلات الزواج الخاصة والعامة، والحفاظ على الشرف والعفة، وعدم فتح المجال لتسلل المحرّمات، والتدهور الخلقي، وسقوط الحياء إلى الأوساط الملتزمة بأي عنوان من العناوين.

وإنّه ليؤمل من الصناديق الخيرية وكل المؤسسات التي تحتضن ظاهرة الزواج الجماعي وتشارك فيه أن تجتمع كلمتها على ترشيد هذه الظاهرة الطيّبة وتهذيبها من اللواحق والشوائب المؤثرة عليها سلباً، أو التي تقلل من دورها في استيعاب أكبر عدد ممكن ممن يحتاجون إلى المساعدة في التزويج، وأن تثبّت ضوابط شرعية وأخلاقية وموضوعية تخدم هذه الظاهرة، وتعطي لها أكبر فائدة مرجوّة، وتضعها في إطارها الصالح الكريم، وتحميها من تسللات غير مرضية، وغير نافعة، وتبتعد بها عن روح التواكل والاستغلال غير اللائق.

٦. الحفاظ على كرامة الداخلين في حفل التزويج الجماعي بأشد صورة ممكنة، فلا يكون بذل المال فيه ثلمة لشرف هؤلاء الشباب الكرام الذين يضمهم الحفل الجماعي[1].

ظاهرة الإسراف في الزيجات

وأنبّه في هذا المجال بأن مناسبات الزواج في مختلف الأوساط حتى الفقيرة تستهلك مالاً كثيراً بصورة غير مبرّرة شرعاً أو عرفاً في الوقت الذي نفتقد فيه مشاريع علمية وإصلاحية جمة.

---

١. خطبة الجمعة (٣٧٠) ٢٦ جمادي الأولى ١٤٣٠هـ ـ ٢٢ مايو ٢٠٠٩م.

نحن مجتمع بلا مشاريع، نحن غائبون علمياً، غائبون اجتماعياً، غائبون في تثبيت مشاريع تخدم تاريخ هذه الأمة، وتنشر الهدى. لا نتوفر على حوزة لائقة، لا نتوفر على جامع كبير لائق، لا نتوفر على مكتبة عامة لائقة، لا نتوفر على جامعة، لا نتوفر على مجلات تنشر الهدى وتنطق بالكلمة القرآنية المشعّة، وهذا خلاف الرشد والإحساس الكريم. إنفاق المال في الحالات الترفية، وتضييعه في كثرة اللباس الضائع، وفي الأصباغ الضائعة، وفي تبدّل الموضات كلّ ذلك خلاف الرشد، والإحساس بالمسؤولية الذي يجب أن يتحلى به المجتمع المسلم[١].

محاولة تقنين أحكام الأسرة

هذا القانون[٢] يتناول بالأحكام دائرة خاصّة من العلاقات، تتركّز كثيراً في الأُسرة، ـ قد يكون له التعدّي البسيط أحياناً كما في الوصية ـ وليس له شأنٌ بعلاقات السياسة والحاكم والمحكومين، وتدخل فيه أحكام الزواج والطلاق والأهلية التي تتحدّث عن الرشد والقصور، والولاية على القصّر من أبناء وبنات والوصيةِ والإرث. وهو قانون حسّاس متّصلٌ بمسألة الأعراض والفروج التي جاء فيها ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[٣]، وبالعلاقات الرحمية المورّثة التي يتناولها قوله سبحانه: ﴿...وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ...﴾[٤].

---

١. خطبة الجمعة (١٥٦) ٨ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ ـ ٢٨ مايو ٢٠٠٤م

٢. ما سمي بـ«قانون الأحوال الشخصية» الذي تقدّمت بطرحه الحكومة في البحرين وعارضه سماحة الشيخ وكل علماء البحرين معارضة شديدة جداً ودعا سماحته لأعظم مسيرة في تاريخ البحرين في حينها حتى أسقط هذا القانون.

٣. الإسراء: ٣٢.

٤. الأنفال: ٧٥؛ الأحزاب: ٦.

وقد أقصت الأنظمة الحاكمة في الأمة الإسلامية الشريعة المقدسة عن المساحة الكبرى لحياة الناس، واعتمدت على مصادر تشريعية من وضع الإنسان، وإذا كانت بعض الدساتير تنص على كون الشريعة مصدراً أساسياً من مصادر التشريع فإن هذا في الأغلب مجرد قضية نظرية قد يؤخذ بها حين توافق هوى المشرع الأرضي. واعتمادها دستورياً في الكثير لإسكات الشعوب، على أن الشريعة في الحقّ هي وحدها التشريع الثابت في حياة المسلمين بأمر الله وتبليغ رسولهﷺ.

مع هذا بقيت مسألة الأحوال الشخصية خارج دائرة القانون الوضعي، ومحكومة بالشريعة في كثير من البلدان الإسلامية لحساسيتها الشديدة في ضمير الإنسان المسلم، ولكونها لا صلة لها بمصالح الحاكمين المباشرة على الأقل، ولا ضير فيها مباشرة على أطماع المستعمرين، ولكن ولطمع الغرب[1] في فصل المسلمين عن الإسلام نهائياً، وبعد أن وجد من مواليه وعشّاق حياته المتحلّلة طابوراً عريضاً في المجتمعات الإسلامية، بدأ يفرض وجهة نظره وتشريعاته التي لا صلة لها بدين ولا قيم على مساحة الأحوال الشخصية في عدد من البلاد الإسلامية لتحتلّ حضارته المادية كلّ المساحة في حياة المسلمين، وذلك من خلال العملاء السياسيين والعملاء الحضاريين، ـ في نظري أن هناك عملاء سياسيين وعملاء حضاريين، والعملاء الحضاريون قد يكونون أشدّ خطراً من العملاء السياسيين ـ وشرائح صغيرة تدفعها الغفلة أو الهوى والجهل بقيمة الشريعة وقدسية أحكامها الإلهية الثابتة. ويتمّ هذا استئصالاً للإسلام، وتركيزاً للفوضى الجنسية، ونسفاً لقيم العفّة والشرف، وإذابة للفواصل الحضارية بين المسلمين والمستعمرين تسهيلاً لقبول علاقات الهيمنة والتسلّط التي يمارسها الغرب

---

١. ومثل الغرب في ذلك الشرق. «منه حفظه الله»

في حقّ المسلمين، وحتى لا يبقى إسلامٌ يناهض[1].

قد تقدم الحديث في هذا المكان الشريف وغيره لأكثر من مرة بشأن تدخُّل المجلس الوطني في مسألة الأحوال الشخصية بالتقنين لها، وما سيؤدي إليه ذلك من خروج على ثوابت مذهبية خاصة، وإسلاميَّة عامَّة، وما ينتجه من فساد في الأعراض والأنساب على كلٍّ من الصعيدين، وقد ذكرت لذلك دلائله وأمثلته الكافية، ولكن الحملة المخطَّط لها، والمستهدفة مواجهة الشريعة في آخر مساحة متروكة لها من حياة المجتمع المسلم على مستوى التقنين ـ وهي مساحة ضيقة ـ والإصرار على إقصائها عنها تتطلب استمرار الطرح القويّ لهذه المسألة من جميع من يحرص على دينه وعرضه، والإصرارَ الشديد على إبطال المحاولة المذكورة ومواجهتِها بكل حزم، وإلا أثِم الكل، وحقّت علينا جميعاً كلمة العذاب[2].

١. خطبة الجمعة رقم (٨١) ١١ شعبان ١٤٢٣هـ ـ ١٨ أكتوبر ٢٠٠٢م.

٢. خطبة الجمعة (١١٠) ٧ ربيع الأول ١٤٢٤هـ ـ ٩ مايو ٢٠٠٣م.